الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الاجتماعية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique Université Amar
Telidji Laghouat
Faculté des Sciences Sociales

م ع ك ع إ: الرقم .....91.....

الأغواط: يوم 12/ 2022/10

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية

بناءا على محضر المجلس العلمي رقم 04/ 2022 للدورة الاستثنائية المنعقدة يوم الأربعاء 2022/10/12 تمت المصادقة على مسطار الدكتور: خرشي عبد الرحمان من قسم الفلسفة الموسوم: محاضرات في فلسفة القيم موجه لقسم السنة الثانية ليسانس فلسفة بعد دخول التقارير الايجابية للخبراء الأتية أسماؤهم:

الأستاذ الخبير	الرتبة	الجامعة
بن يمينة محمد كريم	أستاذ محاضر أ	سعيدة
بلخيري خديجة	أستاذ محاضر أ	تيارت
عطية بن عطية	أستاذ محاضر أ	الأغواط
ناجم مولاي	أستاذ محاضر أ	الأغواط

رئيس المجلس العلمي.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية
أ.د. باهي سلامي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Amar Telidji Laghouat
Faculté des Sciences Sociales
Département de Philosophie

مطبوع بيداغوجي للتأهيل الجامعي

محاضرات في

فلسفـــــة القيم

موجه لطلبة السنة الثانية ليسانس- تخصص: فلسفة عامة

من سنة 2018 إلى سنة 2022

إعداد الدكتور: عبد الرحمن خرشي

السنة الجامعية: 2021-2022

وحدة التعليم: الاستكشافية

المادة: المادة الاختيارية

الرصيد: 2

المعامل: 2

أهداف التعليم:

(ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

التعرف على بعض الموضوعات الفلسفية المتخصصة

المعارف المسبقة المطلوبة:

(وصف مختصر للمعرفة المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر)

المعرفة بالظواهر السوسيولوجية الأكثر تفاعلا في الحياة الفكرية والثقافية.

محتوى المادة:

*-المادة 1-فلسفة القيم.

1- مفهوم القيمة وأنواعها

2- إشكالية نسبية القيم وإطلاقيتها في الفلسفة القديمة / السوفسطائيون أنموذجا.

3- إشكالية القيمة بين الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأرسطية.

4- نظريات القيمة في الفلسفة الحديثة (لوك، روسو، كانط ....)

5- إشكالية القيم في الفلسفة الثورية (كارل ماركس، فريدريك نيتشه .....)

6- القيمة في الفكر البراغماتي (جون ديوي، بيرس، وليام جيمس ....)

7- فلسفة القيم وأزمة المجتمعات المعاصرة (تحديات العلم، الحروب، التقنية، العولمة، ...)

**- المراجع: (كتب ومطبوعات ، مواقع الانترنت، إلخ..

-Ernest Cassirer , **la philosophie des formes symboliques**, tra- Ole.hansen - love jean Lacoste , les éditions de minuit,(S.tirage)1999.

-Harry G. Frankfurt, ***The problem of action***, University of Illinois Pressis collaborating with JSTOR to digitize, **preserve and extendaccess to American Philosophical Quarterly**. Volume 15, Nu 2 , April 1978.

- أرسطو، **علم الأخلاق**، ترجمة: أحمد لطفي السيد، ج 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964.

- الجاحظ، أبوعثمان، **كتاب التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق فوزي عطية، الشركة اللبنانية للكتاب، د ط.س.

- وليام، ليلى، **مقدمة في علم الأخلاق**، تر: علي عبد المعطي محمد، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000

المؤسسة: جامعة عمار ثليجي بالأغواط

السنة الجامعية: 2015/2014 عنوان ليسانس فلسفة عامة

توقيع رئيس الميدان

مسؤول فريق ميدان التكوين
علوم انسانية واجتماعية
الاسم: عاجب بومدين

أهداف المقياس ومحتواه

يُعرف هذا المقياس بأنه ينتمي إلى وحدة التعليم الاستكشافية ضمن الوحدات التي يتم تدريسها على مستوى مرحلة الليسانس**(السنة الثانية)** تخصص **(فلسفة عامـــــة).** تم تصميم هذه الوحدة بناءً على ما جاء في المقرر الدراسي المسطر من طرف الوزارة الوصية مع ما يتماشى مع طبيعة التكوين في هاته المرحلة. ويهدف هذا المقياس في تقديري إلى:

- أن يعـــي المتلقي/الطالب الأُطر العامة لبناء القيم الإنسانية.
- أن يتعرف على مبررات الاختلاف وخلفياته المؤسِّسة للنظريات القيميـــة.
- أن يستوعب الفوارق بين المطارحات الدينية والعلمية والفلسفية والمساحات المشتركة بينها.
- أن يدرك روابط القربى بين منظومة القيم فكرًا وسلوكًا ونُظم الحقوق والواجبات نظريةً وواقعًا
- التركيز على التلقي النقدي لحضور القيم في واقعنا، خصوصًا في أحضان مجتمعات العولمة.

أما فيما يخص تقديم محتوى البرنامج المقرر من طرف الوزارة وبعد البحث والتقصي، تم تقرير ما يلي:

بالنسبة لمحتوى الوحدة الدراسية:

فقد تم تقسيم هده الوحدة التعليمية إلى **(ثلاث محاور أساسية)** مع ما يتناسب مع طبيعة الوحدة وأهدافها، **بحيث** يتم التعامل مع كل محور من خلال مجموعة من الدروس تسمح باستيعاب الأفكار المقترحة، و فيما يلي وصف محاور الوحدة هنا:

أ. بالنسبة لعنوان المحور الأول:

في هذا المحور سوف أعمد إلى التعريف بفلسفة القيم بإيراد أهم مفهوماتها وحمولاتها الفكرية ودلالات حضورها في الواقع، ويتوزع هذا المحور على محاضرتين:

*المحاضرة الافتتاحية: تقديم عام للموضوع ومطارحة متعددة المداخل لإشكالية القيم.

*عنوان المحاضرة رقم 2: مدخل مفاهيمي للفلسفة والقيم

ب. بالنسبة لعنوان المحور الثاني:

في هذا المحور سوف أتناول القيم بتفرعاتها المعروفة من خلال استشكال معاني الحق والخير والجمال كموضوعاتٍ للمنطق وفلسفة الجمال وفلسفة الأخلاق، ويتوزع هذا المحور على ثلاثة محاضرات:

*عنوان المحاضرة رقم 3: المنطق.

*عنوان المحاضرة رقم 4: فلسفة الجمال.

*عنوان المحاضرة رقم 5: فلسفة الأخلاق.

ج. بالنسبة لعنوان المحور الثالث:

في هذا المحور سوف أعرض لمختلف الفلسفات التي عالجت موضوع القيمة الخُلقية، ويتوزع هذا المحور على ستة محاضرات:

*عنوان المحاضرة رقم 6: إشكالية نسبية القيم وإطلاقتيها في الفلسفة القديمة السوفسطائيون أنموذجا.

*عنوان المحاضرة رقم 7: إشكالية القيمة بين الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأرسطية

*عنوان المحاضرة رقم 8: نظريات القيمة في الفلسفة الحديثة (لوك، روسو، كانط...)

*عنوان المحاضرة رقم 9: إشكالية القيم في الفلسفة الثورية (كارل ماركس، فريدريك نتشه...)

*عنوان المحاضرة رقم 10: القيمة في الفكر البراغماتي (جون ديوي، بيرس، وليام جيمس....) .

*عنوان المحاضرة رقم 11: فلسفة القيم وأزمة المجتمعات المعاصرة (تحديات العلم، الحروب، التقنية، العولمة....)

في الأخير آمل أن يشكل هذا المطبوع البيداغوجي إضافة علمية متميزة لطلاب قسم الفلسفة والمكتبة الجامعية بما يخدم تطلعاتهم في التعرف على أهم الأفكار المرتبطة بفلسفة القيمة وتفرعاتها الثلاثة: المنطق وفلسفة الجمال وفلسفة الأخلاق.

على سبيل التقديم

الخير والشر متلازمان في حياة البشر، وكذلك الحُسن والقبح والحب والكراهية والألم والأمل. هي أحوالٌ تتعاقب عليهم كالأيام، فلا سعادة تدوم ولا تعاسه ولا فرحٌ يُعمِّر ولا حَزَن، ولا سكينة تبقى ولا هَمّ، إنْ كان الشباب أعقبه الهرَم وإن امتلأت الأجساد صحةً أفرغها السّقم، وإن أقبلت الحياة بأفراحها صدّتها المنايا بأتراحها. وما بين هذا وذاك، فلا أحسن من الأخلاق الفاضلة الكريمة والنّيات الطيبة السليمة التي جُبلت عليها الفطرة ونادتْ بها الشرائع وأقرّتها الفلسفات على امتداد الوجود الإنساني، طلبًا لمعاني الحق والخير والجمال*

* هذه ليست افتتاحيةً لخطبةٍ منبريةٍ ولا موعظةً في الأخلاق النبوية، وإنما مقدمةٌ للدرس الفلسفي في مجال القيم (فلسفة القيم)، وهو ما سأعمل على إيضاحه من خلال المحاضرات المقترحة في هذه المطبوعة البيداغوجية.

مدخل عام لفلسفة القيـــم

*** تـمـهـيـــــــــــد**

*** فـلـسـفـة الـقـيـم وفـلـسـفـات الـقـيـمـة**

*** الـدراسـات الـقـــيـمـيـــة فـي الـفـكـر الـعـربـي**

*** خـلاصـــــة**

<u>تمهيـــــد</u>: نسمع منذ زمن بعيد عن انحسار القيم وضياعها خصوصا خارج أسوار المؤسسات التعليمية والدينية التي يُنذر تراجع مؤشر القيم فيها بكارثة مجتمعية حقيقية وأزمة قيمية يمتد أثرها إلى كل مناحي الحياة، فقد كان سؤال القيم حاضرا داخل النقاش الفلسفي للقـرنين الحاضر والماضي، خصوصا بعد تداخل منظومات الأخلاق والعلم وتواشج غاياته مع إرادة القوة لإحكام السيطرة على الآخر، فيما أراد بعض المفكرين تصويب معنى القيمة ومسارها في حياة البشر بوصفها خاصية إنسانية بامتياز.

فلسفة القيم وفلسفات القيمة:

الأكسيولوجيا في تصنيف ويكيبيديا، علم المثل العليا والقيم المطلقة ومدى ارتباطها بالعلم وخصائص التفكير العلمي باعتبار المعرفة العلمية واحدة من أهم فاعليات النشاط الإنساني وأرقاها، والمراد به البحث في طبيعة القيم وأصنافها ومعاييرها. وموضوعها عابر للاختصاص بدليل أنه استأثر بجهد واضح من الدراسة والتحليل في الدين والفلسفة والتربية والأنتربولوجيا وعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد. ويتداخل مجال القيم خاصة مع جملة موضوعات علم النفس الاجتماعي على الخصوص كمبحث في تواتـر العلاقات بين الفرد والمجتمع، ويتواشج مع مفهوم القيم الحاجات البيولوجية والدوافع النفسية ومحددات الكاريزما الشخصية والروابط الاجتماعية والضوابط الدينية.

إن القيمة نتاجٌ ذاتي لكن أبعادها موضوعية، تكوينها خاصٌ أما سياقاتها فاجتماعية على أساس ارتباطها بالحرية والطابع القصدي اللّذان يصدران عن منزعٍ شخصي بينما تتفرع نواتجهما إلى تنويعات عامة، تشمل وعي الفرد وتجربته الخاصة وتتعداه إلى المحيط بحيثياته وتفاصيله. لذلك لا فرق عندي بين سيكولوجية القيم الإنسانية ومفهوماتها الإجرائية وتطبيقاتها العملية إلا من حيث التفاوت المنطقي، ترتيب المسار بين التدشين والاستمرارية، الشروع والمواصلة، المقدمة والفعل، على أساس أن المبدأ لا يتجزأ، حيث تبدو المشكلات في حياة البشر أمرا طبيعيا لأنهم لم يولدوا بذات السِّمات والاستعداد والظروف، وهو ما يعطي للقيم صفة الثبات رغم تغيـــر طبائع البشر وأحوالهم. لقد بحث المفكر الألماني شبرانجر Spranger في أنماط الشخصية انتهى إلى أن الناس يتوزعون بين ستة أنماط استنادًا إلى غلبة أو سيادة واحدة من القيم على شخصيتهم، وهي: القيمة النظرية والقيمة السياسية والقيمة الاجتماعية والقيمة الاقتصادية والقيمة الجمالية والقيمة الدينية.[1]

وكنسقٍ عام من الضوابط الفردية والمجتمعية التي قوامها تحقيق المعاني الإنسانية الفاضلة، خضعت القيم طويلا للتأمل الفلسفي قبل أن تتداولها الفحوص الأمبريقية والأقيسة العلمية.

الدراسات القيمية في الفكر العربي:

وقد استغرقت الدراسات الفلسفية العربية طوال العقود الأخيرة الإشكاليات القيمية عموما والأخلاقية بصورة خاصة في حدود البيئة العربية بحمولاتها الإثنية والدينية والثقافية، ففي سياق ذلك كتب أحمد عبد الحليم عطية: "الأخلاق في الفكر العربي المعاصر" وترجم لطفي السيد كتاب: "الأخلاق إلى نيقوماخوس"، وكتب إسماعيل مظهر: "فلسفة اللذة والألم عند أرستيب القورينائي وأبيقور" وكتب أبو بكر زكري: "مباحث ونظريات في علم الأخلاق" و"تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية" وترجم رفقة عبد الحليم محمود: "المشكلة الخُلقية والفلاسفة"، وألّف محمد زقزوق: "مقدمة في علم الأخلاق" وكتب نجيب بلدي: "مراحل الفكر الأخلاقي"، وأصدر أحمد صبحي كتابه حول: "الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي" وبحثَ محمد يوسف موسى في: "فلسفة الأخلاق في الإسلام" و"في تاريخ

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم(دراسة نفسية)، كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص14.

الأخلاق"، أما عبد الحي قابيل فكتب: "المذاهب الأخلاقية في الإسلام" وكتب ناجي التكريتي: "الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام" وكان كتاب: "الأخلاق" لأحمد أمين مرجعا جامعيا معتمدا، « ورغم الفوارق والاختلافات بين الباحثين فقد جمعتهم فكرة أساسية هي خلخلة المعادلة الأخلاقية الواعية واللّاواعية في التاريخ العربي، ورفْض الطرح التقليدي الذي يُصر على تسطيح مشكلة الإنسان العربي من خلال إعادة إنتاج ثقافة الماضي عبر الموقف الديني المحافظ وتغييب الإشكال الفلسفي»[1]

خلاصة:

ليس الوجود حياديًا ولا خلوًا من القيمة، فكُلًّا من الحركة والنّظـــام فيه يدلان على ماهيته غير القابلة للقسمة مع القيمة بما هي جوهرٌ ملازمٌ له في فلك الإنسان ذلك الكائن المعلوم، الذي تحوم حول تُخومه معاني القيمة بتنويعاتها البيولوجية والسيكولوجية والسوسيولوجية.

إن القيم كموضوع للدراسة يطرح إشكالية تعدد معايير التقييم ووسائله، فقبل الخوض في التفاصيل تتبدى للباحث قارة بأكملها من الصعوبات النظرية والمنهجية.

[1] عبد القادربليمان: دراسات فلسفية في الأخلاق والسياسة (نحو رؤية تحليلية للحالة العربية)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012، ص 133.

محاور فلسفة القيم :

*** تـمـهـيـــــــــد**
*** الـقـيـمـة فـي الـلـغـة و الاصطلاح**
*** مـفـا هـيـم مـوسـعـة لـلـقـيـم**
*** خـلاصـــــة**

تمهيد:

يرتبط الكلام عن فلسفة القيم ارتباطا بجملة من الموضوعات شديدة التعقيد من الفلسفة بداية كموضوع لذاتها يندرج تحت الغطاء الكثيف لصعوبة تقديم تعريف ناجز لها، إلى مباحث الوجود والمعرفة بتفرعاتها ومقارباتها الفلسفية عبر تاريخها الطويل واتصالها بفكرة القيم التي استأثرت ولا تزال بجانب عميق من البحث والدراسة وتنويعات هامشية لا حصر لها، على اعتبار أن النظام القيمي للإنسان يلامس عمق إنسانيته في رحلة بحثه عن ذاته، فلم تخلُ الفلسفات الكلاسيكية والقديمة من البحث في القيم مع أنها كانت تذيل كتابع لقلق وجودي (الأخلاق والجمال خاصة) أو مقدمة لنزوع معرفي (المنطق تحديدا)، ولم ينتظم العمل عليها كمبحث مستقل إلا مع كانط ونيتشه، ومنذ ذلك الحين، ظلت فلسفة القيم تتغيا المشاركة في تحليل مقولات الحق والخير والجمال التي تصدر هن طبيعة إشكالية أساسها اختلاف النظرة القائمة على العقيدة الدينية والخلفيات الإيديولوجية والميول الفكرية. فما هي فلسفة القيم؟ وما موقعها في الفكر الفلسفي؟ وما أهميتها في إرساء رؤية أكسيولوجية للحياة والوجود؟

القيمة في اللغة والاصطلاح:

وأصل القيمة (valeur) في اللغة من قيم الشيء تقييما أي قدر قيمته. أما في الاصطلاح فمفهوم القيمة يتفرع إلى مدلولات كثيرة، فهي في بعدها المادي، خاصية تجعل الأشياء مرغوبا فيها ويجاوره المعنى الاقتصادي المراد به مقابل

السلعة أو الخدمة ويقابلهما المدلول المعنوي عند ريتشل (Ritschel) مثلا الذي كانت غايته أن يقي الدين هجمات العلم بأن يعين لكل منهما مجالا خاصا به، للعلم الظواهر وللدين القيم وهي الفكرة التي أخذ بها كل من شلرماخر وهارماركوه وفدينغ الذي يعرف الدين بأنه حفظ القيم، ويقول في ذلك: "لا يقوم الدين على فهم الواقع بل على تحديد القيمة"[1]

ولقد شاع استعمال لفظ القيمة عند أصحاب الاختصاصات العلمية والفنية من اللغويين والموسيقيين والرياضيين وعلماء الاقتصاد. ويبدو أن هناك فارقا أساسيا بين صيغة التعريف والتنكير في لفظ القيمة فحسب هوبير فرير (Hubert Frère) لفظ قيمة "بالتنكير" يدل على شيء له قيمة أولية أو له مشاركة فيها. ولفظ القيمة "بالتعريف" هو الثمن. ويعني هذا في الواقع القيمة التي يمنحها الناس لبعض الأشياء، فهناك معنى متعين للقيمة يدل عليه لفظ قيمة بالتنكير ومعنى مجرد يدل عليه لفظ القيمة بالتعريف[2]

وبالرجوع إلى معنى القيمة وفلسفتها، يجد المتأمل في مفهومها أنها ذات طابع لا مادي متعالٍ عن الواقع وجودها متعين بالقوة بالمعنى الأرسطي لذلك فهي كمعطى قبلي ثابت، تقع على الجانب النقيض للحظي والعابر والنفعي.

و بعيدا عن سياج التنميط الذي يفرضه كل تخصص على حدى، فإن مصطلح "القيمة" بإمكانه التنصل من الشحنات المعرفية والإيديولوجية والتخلي عن المضامين الدينية والفنية ليعيد تشكيلها بنظرة قيمية "فمثلا الزجاج حين يكون وعاء للشرب يمثل قيمة مادية أي قيمة استعمالية أو سلعية، والزجاجة كنتاج بشري تمتلك –كسلعة – قيمة اقتصادية، أما إذا كانت الزجاجة موضوعا فنيا فتكون لها أيضا قيمة جمالية، إلا أن الزجاج يبدو أيضا ظاهرة اجتماعية موضوع استعمال سلعة وعملا فنيا – وهو أيضا موضوع مصلحة إنسانية"[3]

مفاهيم موسعة للقيم:

إن القيم ليست موضوعات انفعالية تابعة للزمان أو للمكان ولا خاضعة لتشوهات الواقع، بل هي ذات خصائص جوهرية نابضة ومتجددة، حيث لا

---

[1] قاموس لالاند الفلسفي: ص 1525

[2] الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر الفلسفي المعاصر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع(الجزائر) 1980، ص30.

[3] الموسوعة الفلسفية، ص381.

يمكن استدراجها من موضوع البحث القيمي وحده ولا استنباطها من الذات المفكرة فيها والمنفعلة بها (أي أنها ليست ماثلة في الموضوع ولا نابعة من الذات) إنها جوهر ذو طبيعة خاصة مع ملاحظة أن علاقة الذات بالموضوع في عالم القيم "ليست علاقة معرفة بل علاقة تقويم وتقدير، إن الذات هنا تحكم على الشيء أو القضية بأنه أو بأنها صواب أو خطأ وتحكم على الفعل السلوكي بأنه خير أو شر وتحكم على الموضوع الجمالي بأنه جميل أو قبيح... وليس هذا التقدير متروكا لعبث الذات، بل إن ثمة ضوابط كثيرة تضبطه أهمها اتفاق الناس معي في هذا الحكم بالصواب أو الخطأ، وهذا الاتفاق هو ما يمكن أن نطلق عليه الحكم الجمعي"[1]

إن حب الحكمة الذي هو الكلمة الأخيرة للفلسفة بما يقتضيه من موجبات خاصة تشترك فيها الفلسفة مع الدين وتتقاطع فيها مع العلم، لهو خير مثال على إرادة الكائن البشري الانخراط في عالم القيم كمثل عليا يمكن الاقتراب منها بالارتقاء والتسامي أين يمكن للإنسان أن يحقق إنسانيته الفاضلة، فلا موقع لمعرفة القيمة والعمل بها إلا التجربة الإنسانية وهنا تبدو القيمة بحلة العلو الذي يبرهن أنها ليست خلاصة الحساسية البشرية ومطالبها الغرضية، بل هي ذلك المتعالي الذي يحمل السلوك البشري حملا نحو اقتضاء المثال الخلقي.[2]

إن القيمة في ذاتها ولذاتها، لذلك تبدو القيم كغايات قصوى ينهد الإنسان إلى ملامستها ممتثلا فيها أقصى الكمالات البشرية لأنها "تكتسب صفة الضرورة والدوام ولا ترتبط بالزمان والمكان ولا تتغير بتغير الظروف التاريخية والآنية للإنسان"[3] وإن كان لابد من مثال في هذا الصدد فلنقل إن التجربة السقراطية خير مثال على ذلك إذ أنه لتجاوز القيمة بالمنفعة الذاتية، كان سؤال المعرفة عن سقراط فاصلا في مصدر القيمة الخلقية بين مثال العدالة وتجلياتها في الممارسة الإنسانية اللحظية لتكون العدالة قيمة في ذاتها.[4] وفي معرض الكلام عن اللحظة

---

[1] يحي هويدي: ما هو علم المنطق؟ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة(ج م ع)، الطبعة الأولى1966، ص16.

[2] نورة بوحناش: إشكالية القيم في فلسفة برغسون, الدار العربية للعلوم ناشرون, بيروت(لبنان),منشورات الاختلاف(الجزائر), الطبعة الأولى2010, ص33.

[3] نفس المرجع, ص41.

[4] نفس المرجع, ص33.

السقراطية، نستحضر قلق الفكر الفلسفي على مر العصور، فلكل مذهب فلسفي موقف قيمي يحاول به تبيين مسالك الحجة فيما ذهب إليه.

وتحفل المنظومات القيمية بروابط القربى ذات الدلالة القصدية الحاملة للخيرية في السلوك والوعي المؤسس للتفكير. وغني عن البيان في هذا المقام القول بتعدد القيم وتناسب بعضها مع بعض بما يتلاءم وتصنيفها على نحو معين (فالعدل والشجاعة والحلم قيم متمايزة ولكنه يمكننا أن نظهر ما بينها من قرابة إذا جمعناها تحت عنوان القيم الأخلاقية، وكذلك الجمال واللطافة والحسن إذا أدرجناها تحت عنوان القيم الجمالية ومثلها أيضا الحق والباطل والاحتمالي، إذا جمعناها تحت عنوان القيم المطلقية).[1]

خلاصة:

درج الفلاسفة على تصنيف القيم إلى عقلية وجمالية وأخلاقية يقابلها الحق والجمال والخير التي هي موضوعات المنطق وعلم الجمال وفلسفة الأخلاق كمنظومات معيارية ينتظم بها فكر الإنسان ووجدانه وسلوكه فهي تتشابه تشابها أساسيا من حيث كونها لا تدرس وقائع موجودة بالفعل ولا العلاقات القائمة بين هذه الوقائع ولكونها تدرس ثلاثة معايير: فعلم المنطق يدرس معيار الصدق، لأنه معنى بدراسة صحة التفكير وسلامته وعلم الجمال يدرس معيار الجمال أو ما الذي يجعل الشيء جميلا، وعلم الأخلاق يدرس معيار الخيرية في السلوك أو متى يكون السلوك خيّرا أو فاضلا.[2]

[1] الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر الفلسفي المعاصر,ص32.

[2] إمام عبد الفتاح إمام: محاضرات في المنطق(الجزء الأول) دار الثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة(ج م ع)، بدون تاريخ، ص8.

المنطـــــــــــــق:

*** تـمـهـيـــــــــــد**

*** الـتـعـريـف بـالـمـنطق**

*** أهم الانـتـقـادات الـتـي طالـت الـمـنطق الأرسطي**

*** خـلاصـــــة**

تمهيـــــد:

في اللفظ العربي، يتجاوز التمثل الدلالي السائد للمصطلح، فهو يحتوي معنى التمنطق مضافا إليه فعل النطق، ولعل المقصود به تواشج القول السليم (اللغة) والحكم الصحيح (الفكر) المراد بإعمال المنطق بوصفه جملة قواعد من العقل وإليه كآلية لتنظيم نتاجه، اكتملت صياغتها في بعض مؤلفات أرسطو كالمقولات والعبارة والتحليلات الأولى التي درس فيها القياس، أما في التحليلات الثانية فقد عني بالبرهان، وكتب أيضا الجدل (الطوبيقا) والأغاليط (السوفسطيقا) وسميت كتبه المنطقية بالأورغانون أو آلة الفكر ولم يعد أرسطو المنطق علما قائما بذاته وإنما اعتبره مقدمة ضرورية للفكر ومنهج لا غنى للباحث عن معرفته، وبلغة عصرنا فإن المنطق هو "العلم الذي يبحث في شروط صحة الفكر ويعصم الذهن من الوقوع في الخطإ، وذلك بتمييزه بين الصواب والخطإ من أفعال العقل التي هي التصور والحكم والاستدلال"[1]

التعريف بالمنطق:

المنطق إذا صياغات عامة لقوانين الفكر الأساسية، تنبني على المبادئ الشهيرة :

*مبدأ الهوية: إذا كانت القضية صادقة فهي إذا صادقة (أ هو أ) وهو مبدأ ثبات الجوهر رغم تغير أعراضه

*مبدأ عدم التناقض: فلا وجود لقضية صادقة وكاذبة في آن معا.

[1] محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي,ص38.

*مبدأ الثالث المرفوع: كل قضية إما ان تكون صادقة أو كاذبة ، ولا يمكن أن تكون في وضع ثالث يتوسطهما.

إن فن التفكير المنطقي يحتاج إلى مهارة خاصة، ومع أن كل البشر يشتركون في خاصية التفكير لأن العقل أعدل الأشياء توزعا بينهم، إلا أن الأمر يحتاج بالإضافة إلى الملكات الفطرية، إلى نوع من الممارسة، أشبه ما تكون بتعلم حرفة أو صناعة لإتقانها، يدوية كانت أو ذهنية، ولقد حدد الساوي، صاحب البصائر النصيرية المنطق بأنه "قانون صناعي عاصم للذهن عن الزلل، تميز لصواب الرأي عن الخطإ في المقاصد بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته"[1]

أهم الانتقادات التي طالت المنطق الأرسطي:

ولقد تعرض المنطق الأرسطي وبعض قواعده تحديدا لموجات كثيرة من النقد والتصويب، ومثال ذلك ما أثاره مبدأ الثالث المرفوع من إشكاليات اختزال القضايا في ثنائية الصدق والكذب، فمع تقدم العلوم أصبح بالإمكان بل من الضروري تجاوز القيمتين المذكورتين، و هو ما مهد السبيل لظهور المنطق متعدد القيم، ذلك أن "المفارقة ببساطة هي قضية تحتمل الصدق و الكذب في آن واحد، أو بعبارة أخرى هي حجة استنباطية محكمة تبرهن على الحكم ونفيه في آن واحد"[2].

وقد كانت بحوث برتراند رسل المنطقية (1901) تعبيرا عن مفارقات أساسية في حتمية الانفتاح على المنطق متعدد القيم, والإقرار بأهمية القبول بتدرج ضروري يتوسط الصدق والكذب، ومثال ذلك الأصلع الذي قد لا يحدث فارقا إضافة شعرة في رأسه ولا العشرات منها، و ربما المئات وعلى شاكلته كومة التبن التي لا يغير من مظهرها الخارجي نقصان حفنة من القش أو أكثر أو أقل.

ولقد عمد فرنسيس بيكون قبل رسل إلى مصطلح الأورغانون الجديد، كوسيلة علمية للمنهج التجريبي حديث النشأة في زمنه، وقد تبنى هيغل منطقا أقرب إلى الحركة والتطور منه إلى الثبات والاستقرار ولا تربطه بمبدإ الهوية إلا صلة واهنة، لأن فلسفته الجديدة لا تحبس الفكر في الانسجام مع ذاته، بل تسير وفق منطق متغير لا يعرف الثبات، فكل فكرة إلا وتستحيل إلى نقيضها الذي يؤذن بميلاد فكرة جديدة

[1] علي سامي النشار: المنطق الصوري من أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ص8.
[2] صلاح عثمان: المنطق متعدد القيم, منشأة المعارف، الإسكندرية، (ج م ع)، ص21.

تتجاوزهما وتحمل حسناتهما، وهكذا لا تصل المثالية الجدلية إلى قرار ولا تنتهي عند حدود فارقة، وهذا المنطق الجديد هو ما يسميه بالجدل ، والجدل اصطلاحا فن المناظرة والمعارضة، ويقول هيغل أن السوفسطائيين أساءوا استعماله حين اتخذوا مقدمات غير سليمة وحينما عارضوا الوجود بالعدم والحق بالباطل فلم يجدوا مخرجا لمعارضاتهم إذ أخذوا الحدود أو الأفكار المتعارضة كأشياء منفصلة مستقلة تستحيل الحركة الفكرية بينها.[1]

وقد كان الاعتراض الأكثر جدية على المنطق الأرسطي، ذلك النزوع إلى تحريم الخوض فيه، لأنه برأي ابن الصلاح الشهرزوري مدخل إلى الفلسفة التي هي في الأصل كفر، والمدخل إلى الكفر كفر أيضا ، وينسب لابن تيمية في الرد على المنطقيين أن المنطق لا يحتاجه الذكي و لاينتفع به البليد، رغم ان ابن تيمية "لم يكن منطقيا عاديا، بل كان منطقيا مجددا، إذ نازع في كثير من الأصول المقررة في منطق أرسطو، واجتهد في وضع منطق جديد هو إلى التداول اليومي أقرب منه إلى اللغة الفلسفية المجردة، والحق أن منطقة عملي تجريبي حي، لا منطق صوري جامد كمنطق أرسطو"[2]

أما الشيخ الرئيس ابن سينا، فلم يستطع التنصل عن القواعد الأرسطية في "منطق المشرقيين" مع أنه أشار في مقدمته إلى أنه سيقيس المسائل الموجودة فيه بمقياس العقل، وأنه سيعمل على وضع منطق يتسق مع خصوصية الفكر الإسلامي في زمانه.

أما الغزالي، فقد قرر في مقدمة كتابه "المستصفى" أن من لم يأخذ بالمنطق في بحثه فلا يوثق في علمه، بل وألّف في المنطق، وكان من الذكاء أن كانت عناوين كتبه المنطقية لا تمثل واجهة حقيقية لها كمعيار العلم و محك النظر ومدارك العقول.

ويذكر ابن خلدون في مقدمته أن المسلمين لم يأخذوا بالأقيسة المنطقية لملامستها العلوم الفلسفية المباينة للعقائد، حتى أنه أفرد فصلا لبطلان الفلسفة وفساد

[1] محمد ثابت الفندي: أصول المنطق الرياضي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت(لبنان)، الطبعة الأولى 1972، ص83.

[2] طه عبد الرحمان: حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت(لبنان)، الطبعة الأولى2011، ص ص26،65.

منتحليها، لكن القارئ المتأمل للنظر العقلي عند المسلمين، يجد أنهم أخذوا عن المنطق كثيرا من مصطلحاته وأبنيته كقياس الغائب على الشاهد وهو ما يسميه المناطقة : قياس التمثيل، بل إن القاعدة المنطقية الفقهية بينة في ذلك، إذ أن كل أمر منقول معترض عليه حتى تثبت بالدليل صحته وكل أمر مأصول مسلم به حتى يثبت بالدليل فساده.

وقد قابل الأخضري في كتابه "السلم المرونق في علم المنطق" في فصل جواز الاشتغال به بين رأي الفريقين فاصلا في النهاية بقوله[1]:

والخُلف في جواز الاشتغال به على ثلاثة أقوال
فابن الصلاح والنواوي حرما وقال قوم ينبغي أن يعلما
والقولة المشـهورة الصحـيحة جوازه لكامل القريحة
ممارس السنة والكتاب ليُهتدى به إلى الصواب

خلاصة: المنطق إذا مفيد بقدر ما هو ضروري في تبين مسالك الحجة لتحقيق الكمال العقلي الخالص كخاصية أساسية للوجود الإنساني، " حيث أن الذات تقتحم زخم الفكر بأحكامها المنطقية المستندة إلى قواعد الفكر الأساسية المذكورة، ليس بحثا عن الحقيقة، بل بحث في بنائها، فعلم المنطق هو العلم الذي يبحث في بناء الحقيقة أو في الفكر من حيث توافقه مع نفسه وانسجامه الذاتي "، حتى أن مادة التفكير في اللاتينية reflectere تعني الرد إلى الوراء وتدل على اجترار الفكر أي ارتداد تفكير الإنسان على نفسه ورجوعه على خطاه، وتعني الفكر الواعيRéflexion.

[1] الأخضري: السلم المرونق في علم المنطق، ص16.

فلسفة الجَمـــــــال:

*** تـمـهـيـــــــــــد**

*** الـفـن والـتـصـويـر الـجـمـالـي**

*** الـتـصـويـر الـفـنـي فـي الأدب الـعـربـي (نـمـوذج)**

*** الـتـصـويـر الـفـنـي فـي الـقـرآن الـكـريـم (نـمـوذج)**

*** خـلاصـــــــة**

تمهيـــــد:

استلهم الإنسان من عناصر الطبيعة صنوفا شتى من ألوان الجمال، فامتلأ عالمه بصور فنية أصيلة وفاضت ملكاته بتصورات إبداعية جميلة، عبر بها عما يختلج في نفسه حيال تلك المعاني الجمالية المحيطة به أصلا، أو تلك التي يستنبطها من إبداعه فيعمد إلى خياله الخصيب ونظرته الجمالية لاستكناه عمق الواقع، والنفاذ إلى بدائل التجربة الإبداعية بما هي فاعلية إنسانية في التعبير عن الإحساس الملهم والخيال الخصب، الماثل في قصيدة الشاعر وألحان الشادي وتعابير الفنان وريشة الرسام، لذلك فالإبداع الفني يمثل انعكاس للواقع وتجاوز له، فليس من شأن الفن أن ينتقل بنا إلى عالم خيالي لا شأن له بالتجربة الحسية، إنما تنحصر مهمة الفنان في عملية تحويل "المحسوس الخام" إلى "محسوس استيطيقي"[1].

الفن والتصوير الجمالي:

لذلك فالعمل الفني المبدع هو الذي ينحت تصوراته من جمال الطبيعة ويستلهم أفكاره من الواقع، فيجمع أطياف الصور وأشتات المعاني، ليضفي عليها هوية جمالية جديدة، هي أقرب إلى اللغة العالمية التي يفهمها ويتذوقها كل كائن بشري،

[1] زكريا إبراهيم : مشكلة الفن (ضمن سلسلة مشكلات فلسفية),مكتبة مصر, دار مصر للطباعة, بدون طبعة , بدون تاريخ, ص05.

وليس أدل على ذلك من الأعمال الفنية الغابرة، التي استطاعت أن تفتح لنا نافذة عن الماضي وستظل شاهدة على حقبة زمنية رغم تقادم عهدها.

والمتأمل في تاريخ الفن يجد أنه ملازم لتاريخ تطور الإنسان، بما هو حركة نماء مطرد لجوانب الحياة الإنسانية العلمية منها والعملية، الفكرية وكذا الفنية، لذلك فإن "الفنانين في الحقيقة لهم الباحثون عن القيم، فهم مكتشفون لا يهدأون إلا حينما تطأ أقدامهم أرض ميناء جديد، وليس على متذوقي الفن سوى أن يلاحقوا أولئك الرواد الممتازين في جولاتهم الكشفية التي لا تكاد تعرف نهاية"[1].

إن الظاهرة الفنية بما هي تمظهر للوعي الذاتي للإنسان والحضاري للأمة، هي ظاهرة ارتقاء وتجاوز، ارتقاء الإنسان بنفسه وتجاوزه لقصور ذاته وواقعه، لذلك فليست موضوعات الفن إشباعات عشوائية لرغبات مصطنعة، أو لمجرد اختراق المألوف، بل هي تحديدا تذوق للموضوعات الملامسة للوجود الإنساني ومعالجة لحفريات الواقع المعاش، وبذلك يغدو عمل الفنان حركة إلى الماضي وإلى المستقبل أيضا، تجديد للانتماء وتعضيد للولاء، من جهة و مقاربة تنسحب على الزمن القادم من جهة أخرى، فالفنان فيما يقول كروتشه، لا يستطيع أن يتحلل من واجباته كإنسان وينبغي له أن ينظر إلى الفن نفسه على أنه رسالة، وأن يمارسه كواجب مقدس.[2]

وآية ذلك أن العباقرة المبدعون في التاريخ عبروا بأعمالهم الفنية ولغتهم الرمزية، وعبَروا من خلالها إلى ضفاف جديدة أسست لوعي فعال فردي واجتماعي، وقد يكون الإنسان العادي مفعما بالأحاسيس والمشاعر مرهف الحس، سريع الانفعال جياش العواطف لكنه لا يحسن التعبير عنها بأي صورة من الصور الفنية، فالفن هو إخراج تلك الصور في قوالب إبداعية تتكامل فيها الوظائف النفعية للعمل الفني مع الجانب الإستطيقي، الذي يتوج تذوق المعاني الجمالية، وفي الأعمال الفنية القيّمة، يستطيع الفنان أن يبرز لنا الوجه الآخر للعالم الحسي، فيتجاوز كونه شيئا أو موضوعا في الطبيعة إلى عالم حقيقي وربما أكثر واقعية من الواقع نفسه. ولقد حفلت الأدبيات اللغوية والفنية والفلسفية بتوصيفات الموضوعات

[1] زكريا إبراهيم : المرجع السابق، ص 205.

[2] بندتو كروتشه: المجمل في فلسفة الفن، ترجمة وتقديم : سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 2009، ص36.

الجمالية، واختلفت إلى حد التناقص في تقرير نسبة جمالية الصور الطبيعية والأفكار الإبداعية والأعمال الفنية، فشاد الأدباء والفنانون والفلاسفة صورهم الجمالية وتصويراتهم الفنية بحثا عن الجمال الخالص في صورته المثالية، والحقُّ أن فلسفة الجمال لم تستقل عن نظريات المعرفة والخير في العصر الحديث، وعلى وجه الدقة في القرن التاسع عشر، عندما أطلق الفلاسفة الألمان والأوروبيين كلمة Aisthetics على ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي يعنى بشعور الإنسان بالجمال وتذوقه و إبداعه له في الفنون المختلفة، إنه دراسة لمنطق الخيال في مقابل دراسة المنطق العقلي في العلوم[1]، وكأنما يرينا الفن طبائعنا وحقائق أنفسنا، حتى أن النظرة الجمالية للموضوعات التأملية دليل صحة نفسية وعقلية، وقد يكون لعمل يحمل طابع الجمالية تأثيرا أكثر فينا من وعظ الوعاظ وأعمال الكتاب. فالفن الحقيقي مرآة عاكسة لجمالية الطبيعة والفكرة الإنسانية وهذا هو الإبداع، إننا قد لا نلتفت إلى غروب الشمس الذي يؤذن كل مساء بقدوم ظلام الليل مسدلا الستار عن يوم مضى في انتظار غد جديد، في حين أن بيتا من الشعر يجعلنا نعيش الحدث بكل تفاصيله، بل وينفذ بنا إلى أعمق من لحظة الغروب كنقطة أفول وبداية لأمل مشرق جديد.

التصوير الفني في الأدب العربي(نموذج):

ولقد شاع في الأدب العربي، التغني بجمالية الحياة والكون والإنسان والخلق والخالق، وأبدع اللسان العربي في ذلك أيما إبداع. وإن كان لابد من مثال في هذا الصدد، فإننا نستحضر ما جاء تحت قلم الدكتور أحمد زكي من وصف الجمال لنفسه بقوله "أنا الجمال ، يعرفني الناس رسما واسما ولا يعرفونني وصفا، كالمعنى الذي يحسه القلب ويعجز فلا يفصح عنه اللسان...وأنا الجمال، أعيش على "الجيم" و"الميم" و"الألف" و"اللام"، أعيش على الجملة لا على التفصيل، وتدركني العين في لمحة لا تجعل للعقل مجالا ليعقل ولا تترك للمنطق فسحة فيتمنطق.[2]

[1] أميرة حلمي مطر:فلسفة الجمال، دار المعارف، القاهرة (ج م ع)، بدون تاريخ، ص04 .
[2] سيد صديق عبد الفتاح: الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء، دار الهدى، القاهرة(ج م ع)، الطبعة الأولى1994، ص169.

التصوير الفني في القرآن الكريم(نموذج):

ويعتبر القرآن الكريم كتاب العربية المعجز الذي تحدى به الرسول الكريم العرب وهم أصحاب فن القول أن يأتوا بسورة من مثله، وأفحمهم بقوة حجته وبيان أسلوبه وجمالية تصويره، هذا التصوير الفني الذي يعبر عن المعاني الذهنية والحالات النفسية فيحيلها حوادث واقعة ومشاهد منظورة. والجمالية القرآنية هي نتاج الأسلوب الفني القرآني بما يحتويه من خصائص فريدة، تجمع بين الإعجاز البياني وجملة الحقائق والتشريعات والمواعظ والقيم، فهي جمالية تتكامل فيها كل تلك العناصر مجتمعة.

إن من يلقي نظرة فاحصة على النص القرآني، ليرى بوضوح تام البعد الديني له ويلمس تأثيره الوجداني، ويسمع خطاب أسلوبه الفني ويحس ببعده الجمالي، ذلك أن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني وبين الغرض الفني الإبداعي، فالإبداع الفني يسري في كل آيات القرآن، والظاهرة الجمالية تستملي سطور جميع سوره، وذلك لا ينكشف إلا عند التدبر الواعي للأسلوب القرآني وتذوق أسراره البلاغية والإصغاء المتأمل لإعجازه الساحر.

خلاصـــة: إن جمالية الأشخاص والأشياء والأفكار ليست في مدى نفعها وإنما هي ميزة ذاتية فيها، لكنها تخضع أيضًا للذوق الجمالي لصاحب الحكم عليها من قبيل القول أن الحسن والقبح ذاتيان بينما يتوقف الأمر أيضًا على العقل المتأمل فيهما. ولابد من التنويه هنا والآن، على أن تمثل الفن والجمال عند كثير من أهل زماننا في البعد الإيروتيكي للجسد الأنثوي وفوضى الألوان والأصوات والأرقام، والموسيقى الصاخبة والصور الفاضحة، وبالإجمال ثقافة الاغتراب عن القيمة كجوهر أساسي للوجود الإنساني.

فلسفة الأخلاق:

*** تـمـهـيـــــــــــد**

*** الأخلاق كـمـلـمـحٍ لـلإنـسـان الـفـاضل**

*** الـمـشـكـلـة الـخُـلـقـيـة مـوضـوعًـا لـلـدراسة**

*** خـلاصـــــــــة**

تمهيـــد:

ذلك الفرع من الفلسفة الذي ينظر بمنطق الجمالية في السلوك الإنساني فينهد إلى تقويمه وتهذيبه اتساقا مع الفطرة الإنسانية ومسايرة لنظام الطبيعة كمعيار أفضل للثبات والانضباط، وهو ما نشدته فلسفة الأخلاق في محاولاتها المتطلعة أبدا إلى خرق جدار الكمال الأخلاقي وملامسه الحدود القصوى التي ينبغي أن يتموضع فيها السلوك البشري. وقد كان فولتير يؤمن أنه لا يوجد إلا علم هندسي واحد ومنهج أخلاقي واحد. فالأخلاق كقيمٍ معباريةٍ تُحيل الإنسان من طبيعته الأنطولوجية إلى بعده الأكسيولوجي، من الرغبة إلى الفكرة ومن النزوة إلى المعنى ككائن أخلاقي متسامٍ إلى الغايات العليا بين الحرية والمسؤلية.

الأخلاق كملمحٍ للإنسان الفاضل:

تشكل القيم الأخلاقية الملامح الفاصلة لإنسانية فاضلة، تلتزم بالمبدأ وترادف القيمة وتحايت المعنى، معنى الوجود الإنساني نفسه، فالسلوك الفاضل وإن كان مشخصا لا يتنصل عن إطار الزمان ولا يتجاوز حدود المكان ويمتنع عن حرفية الاستعادة، إلا أنه سلوك إنساني إلى أبعد حدود الانسانية كملكة عاقلة خيرة، ناهدة إلى تحقيق ذاتها كنقطة ارتكاز وغاية لذاتها. ولنا أن ندعي أن صاحب العمل الخيّر يعمل لمصلحة الإنسانية بما هي مملكة البشر الغنية أصلا بتنوع خبراتها وثراء تجربتها على مر الأزمنة، القديمة منها والحديثة والمعاصرة.

تعهد القيمة الأخلاقية بالإنسان إلى أفق إنسانيته المثلى، فهي تصعد به من مستوى الغريزة إلى حدود المثال الذي يلازم الحضور العيني للأخلاق بما هي ملتقى الواقع و القيمة. والواقع أن القيمة الخلقية "ليست قيمة شاهد عاقل أو متأمل ذكي، يقتصر على فهم ما يجري من أحداث، أو يكتفي بملاحظة الوقائع دون أن يتدخل في مجرى الأمور، بل هي قيمة فاعل نشيط أو ذات عاملة تنخرط في مجرى الأحداث لكي تساهم في إنتاج الأشياء"[1].

وليس هذا الإنتاج شيئا غير العمل على تصالح الإنسان مع ذاته وانفتاح أفقه على غيره، كمحاولة لإضفاء التناسق بيننا وبين أنفسنا وبيننا وبين الآخرين، فالأخلاق رسالة فاضلة لنا وللعالم من حولنا وليست مجرد سلوكات يفرضها علينا عرف أو دين، كإملاءات وجب التقيد بها، حتى أن الإنسان مهما علا شره وانقطع عن الفضيلة ردها من الزمن، إنما يستشعر خطأه ويرتفع صوت ندمه إذا ما خلا إلى بقايا نفسه وارتجع إلى عمق ذاته "وإذا كان التخلق لا ينحل إلى مثل أعلى خارج الحياة، وكان قوامه يطابق ضروب الإيقاع الرئيسي في الفاعلية، وجب أن يوجد على شكل بذرة مضمرة في كل مبادئ العمل التي تلازم سلوكنا كله وأعني بها القيم"[2]

المشكلة الخُلقية موضوعًا للدراسة:

ولقد كانت في المشكلة الخلقية موضوع دراسة للمفكرين والمصلحين والفلاسفة منذ القديم، من المجتمعات الشرقية البدائية القديمة إلى مجتمعات العولمة المفتوحة على الفضاءات الرقمية والتقنية المعاصرة. والدارس لفلسفة الأخلاق يمكنه معاينة ذلك بابتهاج، فلم يكن تصور المبادئ الأخلاقية إلا ضمن إطار جامع لها في وحدة مع حياة الكائن البشري، بل إنها لم تتنصل حتى عن التنظير السياسي إلا عندما انتهي الزمان إلى ميكيافيلي الذي فصل الأخلاق على السياسة وكان فصل المقال مع نتشه الذي رفض القيم السائدة معلنا موت الإله وميلاد الإنسان الأعلى (السوبرمان)، بعد ما كان كانط يؤمن بفكرة الإلزام الأخلاقي كخاصية نفسية

[1] زكريا إبراهيم : المشكلة الخلقية (ضمن سلسلة مشكلات فلسفية)، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص257.

[2] عادل العوا: القيمة الأخلاقية، الشركة العربية للصحافة والطباعة و النشر، الطبعة الأولى، دمشق(سوريا)، بدون طبعة، 1965، ص93.

أساسها احترام القيمة مثلا أعلي للحياة. إن القيمة الأخلاقية إلزام ذاتي والتزام نفسي وليست إملاءات خارجية ولا أوامر سلطة فوقية.

ولقد أفاض الدكتور عبد الله عبد الدائم في تبيان ملامح القيم كسلوكات فاضلة مجتزئة عن المبدأ المثالي للإنسان العربي وفق تقسيم ثلاثي يبدأ بالقيم الاجتماعية والاقتصادية ليختص بعد ذلك بالقيم الفردية وينتهي إلى قيم السلوك الاجتماعي.

1) في مجال القيم الاجتماعية والاقتصادية وما شكلها على قيم أساسية كالتالية: العدل وتكافؤ الفرص – العدالة الاجتماعية – التكافل الاجتماعي والتضامن والتعاون والتعاضد والتآخي – الترابط والتراحم العائلي – احترام العلم والعلماء – احترام العمل – الشورى وحرية الرأي – الجهاد في سبيل الحق – احترام الإنسان وتأكيد حقوقه – التناصح والتواصي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – تنمية الثروة وحسن استخدامها – رعاية الفقراء واليتامى والمساكين – رعاية ذوي القربى والحفاظ على حقوقهم ...إلخ

2) وفي مجال القيم التي يمكن أن نسميها أخلاقية فردية (يدخل كثير منها في مجال ما يسميه الماروردي "أدب النفس") نجد قيما كثيرة يصعب حصرها، من أبرزها البر والإحسان – توقير الكبير ورحمة الصغير – مجانية الكبر والإعجاب – تجنب النفاق نسميه اليوم الوجدان الأخلاقي) وما يخلق بها من عفة ونزاهة وصيانة، وما تستلزمه من موازاة ومياسرة وانفصال) على حد تعبير الماروردي– الإيثار(إيثار المرء غيره على نفسه ولو كان به خصاصة) – الكرم، كرم اليد والنفس (وهو لغة ضد اللؤوم) – صون الكرامة، كرامة الإنسان أنى كان وأيا كان - الأريحية– العفو عند المقدرة – الحسنى في الحوار والدعوة والتواصل بين البشر – روح المسؤولية، مسؤولية الفرد عن نفسه وعائلته ومجتمعه وما يلحق بها من غيرية اجتماعية (أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه) – احترام الجار والجوار – الاستقامة (بمعنى الإخلاص في العمل وحسن التعامل مع الآخرين وإيفاء الناس حقوقهم) – أداء الأمانة – الرق والتسامح – بر الوالدين والإحسان إليهما – رعاية النساء والتوصية بهن – رعاية الجسد وتوفير حاجاته من الغذاء والنوم والراحة والنظافة والرياضة (من ركوب للخيل والإبل، أو رمي – أو سباحة – أو مبارزة أو

مصارعة، أو حمل للأثقال، أو جري، أو سوى ذلك) – إفشاء السلام وتعزيز التواد والتآخي والمحبة - ...إلخ.[1]

3) وفي الميدان الذي يمكن أن نسميه آداب السلوك الاجتماعي، نجد في مبادئ الدين الإسلامي وفي مصادر التراث العربي الفقهي والفكري والأدبي عبر التاريخ، جملة من القواعد الهامة المنظمة لسلوك الفرد، وما يزال جانب كبير منها حيا في سلوك الناس اليوم أو حاضر على أقل تقدير في وجدانهم، ينظرون إليه نظرة إكبار واعتزاز. ومن العسير ههنا أيضا أن نحصي تلك الآداب السلوكية، التي ملأ الحديث عنها الوفير من المصادر القديمة والحديثة. وحسبنا أن نعدد بعضها تعدادا.

آداب التحية (رد التحية بأحسن منها) – آداب الدخول إلى البيوت (بعد استئذان أهلها) – آداب المشي (واجتناب الخيلاء) والسير في الطريق (ورفع الأذى عنه) – آداب التعامل بن الزوجين (حسن الأسوة) – الابتعاد عن الغضب وكظم الغيظ – آداب الطعام والشراب وما يرتبط بهما من العادات الصحية – آداب الملبس والهندام – آداب الجلوس في المجالس – آداب النظافة في الملبس والمأكل والجسد وسواها – آداب الكلام وما يتبعها من آداب الجليس وآداب الصحبة – آداب العالم والمتعلم.[2]

خلاصـــة:

إن الغريب الواقع أن المشكلات الجدية التي اعتورت حياتنا وامتدت إلي كل مناحي وجودنا فاقمت أزمتنا الأخلاقية إلي حد كبير، وهو ما يعكس ما هو واقع على المستوى الاجتماعي من الاختلاف والتشظي، ففي وقت يعتقد فيه بعضنا بأن القيم السائدة في عصرنا نبات شيطاني وجب التخلص منه بالرجوع إلى منبع الأخلاق الصافي من سلفنا الصالح، ينطلق آخرون في طلب العيش وفق قيم العصر والاستفادة من مكتسباته والاحتذاء بالآخر كنموذج للفكر والممارسة على حد سواء. ولذلك نذهب مذهب الشاعر في قوله:

بأخلاقنا نرتقي والقـــيـــــم بآدابنا وبـــحسن الشيم
بتكميلها بعث المصطفى لأمتنـــا ولكـل الأمـــــــم

[1] عبد الله عبد الدايم: نحو فلسفة تربوية عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية 2000، ص ص306-307.
[2] نفس المرجع، ص 308.

دعانا إليها وحث عليها بميزان عدل له يُحتكم
إلى قيم الخير هيا بنـــــــــا وأرواحنا عاليات الهمم.

إشكالية نسبية القيم وإطلاقيتها (السوفسطائيون نموذجا):

*** تـمـهـيـــــــــــد**

*** الـسـوفـسـطـائـيـون ونـسـبـيـة الأخلاق**

*** خـلاصـــــــة**

تمهيـــــد:

السوفسطائية حركة تنويرية يونانية تبلورت أفكارها كاتجاهٍ سلبي ضد تيار المعرفة والسُّلطة الذي ينحدر منه ممثلو الفلسفة الإغريقية على اختلاف أفكارهم وتنوع رؤاهم. لقد كان السوفسطائيون معلمون للحكمة وفن الخَطابة، لكن الميراث التاريخي الذي انتقل عبر الأدبيات الفلسفية يبدو مشوَّشًا ومُهينًا باعتبار أنه على الطرف النقيض من المنهج السقراطي والمثال الأفلاطوني والفلسفة الأرسطية. لقد أقرّ السوفسطائيون عدم الثبات كمعطى عام للأشياء، فالتغيُّر قانون طبيعي يجعل الإنسان مقياس كل شيءٍ حسب بروتاغوراس(410-480 ق م).

السوفسطائيون ونسبية الأخلاق:

نزّل السوفسطائيون مجال البحث من العوالم البعيدة في السماء وأصول الكون المادية إلى الأرض في اتجاه الإنسان ذاته، مُستبعدين الإلهيات والغيبيات عامةً. وقد كان لانتصار اليونان في حروبهم ضد الدولة الفارسية صدًى في فكر السوفسطائيين، حيث استشعروا قوة الرجل الإغريقي الذي ألحق الهزيمة بأعدائه فتزايدت ثقته في نفسه مما مهد السبيل لازدهار النظام الديمقراطي وحرية الرأي، عاملٌ أسّس لتقدم الفكر السوفسطائي المبني على التأثير الخِطابي وقوة الإقناع.

وبمعنى ما، تبدو دعاوى السوفسطائية مقدمات ضرورية للنزعة الميكيافيلية التي تبرر فيها الغاية الوسيلة كمظهر مُلازم لنسبية الأخلاق، حتى أن اختراع القانون من الأقوياء لحكم الضعفاء فكرة سوفسطائية بامتياز سنجد لها صدًى في فلسفة نتشه التي امتدت من بدايات القرن العشرين إلى يومنا هذا.

وتذهب فايزة أنور شكري، أستاذة الفلسفة بجامعة الإسكندرية إلى القول أنّ الحركة السوفسطائية «قد فتحت الباب على مصراعيه بحوارٍ طويلٍ حول

موضوعاتٍ هامةٍ منها ما هو أخلاقي وفلسفي وديني وأنّ ثمرة هذا الحوار ظهرت عند سقراط وأفلاطون، هذا بالإضافة إلى أن هذا النقد الهام كان عملية تطهيرٍ للرواسب القديمة الموجودة في قاع الفكر اليوناني، بحيث كانت الحركة السوفسطائية خير تمهيدٍ لظهور النزعة العقلية»[1]

خلاصـــة:

لقد كان بزوغ التفكير السوفسطائي علامة فارقة في الفكر اليوناني الذي كان محافظًا على غرار الفكر الشرقي القديم، فإلى الحكماء السوفسطائيين ترجع تلك النقلة النوعية من مشكلات الطبيعة إلى قضايا الإنسان «وإليهم تعود بداية التفكير النقدي في التقاليد الأخلاقية والاجتماعية الموروثة والمطالبة بتغيير ما لا يتفق فيها مع مصلحة الفرد وما لا يحقق منفعته، وإليهم يعود الفضل في تدعيم الديمقراطية الأثينية واليونانية الناشئة بتدعيم الفردية وتأكيد استقلاليته السياسية وأهمية دوره الفردي في المشاركة في سياسة المدينة-الدولة»[2] وبصورةٍ ما، كان الفكر السوفسطائي الأوفر حظا لتمثيل الروح العلمية اليونانية الحقة لولا ذلك التحريف الذي لحقه فأرداه أقرب إلى المغالطة والسفاهة والجدل العقيم.

1 فايزة أنور أحمد شكري: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (مصر)، د س ن، ص 94.

2مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي(الجزء الثاني)، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، الطبعة الأولى، 2007، ص313.

إشكالية القيمة بين الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأرسطية:

*** تـمـهـيـــــــــــد**

*** أفـلاطون: الأخلاق تـجلٍّ لـلـمـثـل الأعـلـى**

*** أرسطو: الأخلاق كـعـلـمٍ عـمـلـي**

*** خـلاصـــــة**

تمهيد: اشتغلت الفلسفة اليونانية على لقاء الحكمة بمعاني الخير والفضيلة والكمال في نطاق الفكر الأخلاقي الباحث عن المَثل الأعلى، هذا الذي حظي بخصوصية طابعه العقلاني البحت خارج المجال الديني، أمرٌ فرضته طبيعة المجتمع اليوناني الوثني.

أفلاطون: الأخلاق تجلٍّ للمثل الأعلى

الفضيلة في عُرف سقراط سبيل السعادة التي لا يُخطئ في تحصيلها من تعرّف إليها ولا يَحيد عنها إلا جاهل بها، إذ لا يُعقل أن يختار الإنسان طوعًا طريق الشقاء إلا عن جهلٍ، لذلك يفترض سقراط النوايا الطيبة في البشر، وإنما يحول بينهم وبين الفضيلة عدم معرفتهم بالخير أو جهلهم بوسائله وغاياته، فالأشرار لا ذنب لهم في الانسياق وراء الرذائل سوى عدم إدراك حقيقة الجهل الذي يحيط بهم أو عدم كفاية المعرفة بالخير الذي يفوتهم، نجَم عن ذلك انزياحهم عن الخير اتباعًا للشر وانسلاخهم عن طبائعهم طلبًا للرذيلة.

يتفق أفلاطون من حيث المبدإ مع أستاذه، لكنه لا يذهب مذهبه في فطرية الفضيلة، فالعلم بها ليس كافيًا ليكون الإنسان فاضلًا ومعرفة الخير ليست مُجدية دون النية المصاحبة للفعل، « ولو كانت الفضيلة تنتقل بالتعليم كما تنتقل العلوم من عقلٍ إلى عقلٍ بالأدلة والبراهين لاستطاع حكماء أثينا أنْ يجعلوا تلاميذهم فُضلاء مثلهم»[1]

1 - السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (مصر)، 2000، ص 18.

يرى أفلاطون في الكمال الأخلاقي غاية التربية السليمة، حيث بناء البُنية القوية للأطفال أولوية قبل تلقين العلوم يعقبه التدرج من سماع الموسيقى إلى دراسة الشِّعر ثم الحساب والهندسة وعلم الفلك، شروطٌ لازمةٌ في جمهورية أفلاطون المثالية لبلوغ الكمال الأخلاقي حسب تصوره. وكان قد شبّه النفس بعربة يقودها جوادان الأصيل هو القلب وبجانبه الشرير الذي يُمثله بالشهوة، بينما يتحكم فيهما حوذي ماهرٌ يوازن الوضع بينهما.

أرسطو: الأخلاق كعلمٍ عملي:

ويبزغ عن تقاطع الحكمة السُّقراطية مع التأملات الأفلاطونية نُشدان السعادة كثمرة للمسيرة الأخلاقية في اتجاه الخير الأسمى، وهو ما انتهى إليه أيضًا مع اختلاف التفاصيل، مبعثه النزعة العملية في فلسفته عامةً ومذهبه الأخلاقي تحديدًا، حيث يختلف عنده معنى الحكمة عن معلمه الذي يربطها بالتأمل العقلي، بينما هي واقعية حسية في نظره، فاقتران الحكمة النظرية بالعملية أمرٌ حتمي لبلوغ الفضيلة كحدٍّ أوسطٍ بين رذيلتين: الإفراط والتفريط لتحصيل السعادة، الفضيلة علم والرذيلة جهل، ولاستكناه جوهر الفضيلة عمد أرسطو إلى تقسيمه الثلاثي: الاعتدال والعمل والعدالة.

لقد كان من الطبيعي أن يتصدر رجلٌ حكيم مثل سقراط للادعاء بنسبية الفضيلة، وقد قبِل الموت في سبيل ذلك راضيًا فاعتلى المشهد التلميذ أفلاطون مدافعًا عن أستاذه الذي أفرد له بعض المحاورات، بث من خلالها مخلفات حكمته، فيما بقيت الروح السقراطية تسري خلال فلسفته، وكان أنْ جمع بين الفضائل الثلاثة: العفة والشجاعة والحكمة المقابلة لقوى النفس: الشهوانية والغضبية والعاقلة، وأضاف إليها فضيلة العدالة انتصارًا لمعلمه سقراط. فالإنسان الفرد « حينما ينجح في تحقيق العدالة داخل ذاته يحيا حياة الفضيلة التي لا ينفصل فيها فضيلته الذاتية مع الفضائل الاجتماعية التي يمارسها الجميع داخل المجتمع الكبير، مجتمع الدولة»[1]

1 مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي(الجزء الثاني)، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، الطبعة الأولى، 2007، ص 585.

خلاصة:

إن صورة الخير الأمثل وكذلك الحق والجمال هي تلك التي تُقارب المثال الأعلى عند حدود العالم المعقول، فيكون الإنسان خيّرًا كلما اقترب من تلك الحدود وتشبع بأخلاق الكائن الأسمى بوصفه ذروة الكمال الأخلاقي ويُلحق أرسطو الأخلاق بكونها علمًا عمليًا كمبحثٍ يتفرع عن علم السياسة، ويحدد الخير الأسمى كغايةٍ تُطلب لذاتها والسعادةُ هدفًا لكل فعلٍ إنساني « وإن كان تحصيل الخير لفردٍ واحدٍ أمرٌ يستحق التقدير فإن تحصيل خير الدولة أو المدينة أفضل من ذلك وأكثر تشبهًا بالفعل الإلهي»[1]

1 مصطفى غالب: في سبيل موسوعة فلسفية(أرسطو)، دار ومكتبة الهلال، بيروت(لبنان)، 1988، ص 130.

نظريات القيم في الفلسفة الحديثة (لوك، روسو،كانط):

*** تـمـهـيـــــــــــــد**

*** روسو: فـيـلـسـوف الـعـقـد الاجـتـمـاعـي**

*** أخلاق الـواجب الـكـانـطي**

*** خلاصـــــة**

تمهيـــد:

انتفضت الفلسفة الغربية الحديثة على أصنام الفكر القديم والوسيط معتمدةً على نتاجات برونو وغاليليو وكوبرنيك وكبلر الذين شكلت أفكارهم فتحًا جديدًا في مسارات العالم والإنسان والمجتمع والدين، منتهجين طرائق تفكير وعملٍ جديدةٍ أمكنها إحداث الفارق وتحقيق الوثبة الأخيرة للعِلم الأوربي. وعلى الصعيد الفكري، كان الانتقال مُجديا من الله إلى الإنسان ومن الكائن إلى الشخص ومن الكتاب المغلق إلى كتاب الطبيعة المفتوح، واستحَال الحديث في القيم من من المقدس إلى الدنيوي ومملكة السماء إلى الملكوت الأرضي ومن العقد اللاهوتي إلى العقد الاجتماعي.

روسو: فيلسوف العقد الاجتماعي:

جان جاك روسو (1712- 1778): أحد أهم رواد التنوير وفيلسوف العقد الاجتماعي وصاحب الاعترافات[1] الجريئة، بدا فيه روسو مقتنعًا بأن مفاتيح شخصيته تكمن في الماضي[2] ومصممـا- من خلال سرد سيرته الذاتية- أن يفهم نفسه أفضل ويتصالح مع الرجل الذي أصبح عليه.[3]في عام 1762 أُحرق أعظم مؤلفاته "العقد الاجتماعي" في مسقط رأسه جنيف، لكنه أصبح وقودًا للثورة الفرنسية بعد ذلك بأعوامٍ قليلةٍ.

فكرة العقد سابقة على روسو، فقد رأى جون لوك (1632- 1704) قبله أن الأفراد تمتعوا في الحالة الطبيعية بحق الحياة والحرية في التصرف والمِلكية، لذلك وجدوا أنهم « في حاجةٍ لأن يخضعوا معًا لحكومة يكون هدفها الحفاظ على حرياتهم

1 يوصف بأنه كتاب عميقٌ في الأخلاق كما كان إميل مشروعًا في التربيـــــــة.
2ديف روبنسون وأوسكار زاريت: أقدم لك روسو، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، القاهرة (مصر)، الطبعة الأولى، 2005، ص 145.
3المرجع السابق، ص 142.

وممتلكاتهم»[1] ويضيف هوبز (1588-1679) تماشيًا مع نظرته التشاؤمية شرط السيادة الكاملة لسلطةٍ مطلقةٍ، فالحكومة القوية ولو كانت مستبدة أفضل من الفوضى ومخاوف الحرب الأهلية. لكن روسو دافع عن الحرية الطبيعية للإنسان و حقوقه المدنية التي سلبتها فلسفة هوبز من بنود العقد الاجتماعي الذي يقول عنه: « فليس هناك أي تعويض ممكن لمن يتنازل عن كل شيءٍ، إن تنازلا كهذا مُنافٍ لطبيعة الإنسان، وانتزاع كل حريةٍ من إرادته هو انتزاع كل أخلاقيةٍ من أفعاله، وأخيرًا إنه لاتفاق باطل ومتناقض أن نشترط من جانبٍ سلطة مطلقة ومن الجانب الآخر طاعةً بلا حدود»[2] وإنْ كان روسو يتجاهل الحريات الشخصية عند الخوض في التفاصيل لصالح الحرية الأخلاقية العامة.

إنّ مقولة أنّ الشعب صاحب السيادة تمر عبر اختيار نوابه الذين يُدافعون عن أمنه وحقوقه الأساسية. وإنْ لم يستطع روسو التحرر من رواسب النزعة المنفعية، فالفرد في نظره يمتلك بالفطرة الضمير الأخلاقي، على عكس فكرة لوك وغيره من فلاسفة عصره الذين استبعدوا أي استعدادٍ فطري مرجحين فرضية الصفحة البيضاء التي ترسم الطبيعة ملامحها، وليست الأخلاق استثناءً في ذلك. وملتقى التجريبيين مع أصحاب مذهب المنفعة في أن الضمير الأخلاقي المُتشكل عبر التجربة هو أساس الرّضا الأخلاقي، ويجنح روسو إلى أنّ الإنسان الفاضل «لن يسلك دائمًا بحسب منفعته المادية بل إنّ ما يعمله يكون دائمًا في وفاقٍ مع منفعته الأخلاقية. إن السلوك السيء معناه أن يحكم المرء على نفسه باليأس الصادر من احتقاره لنفسه. أما السلوك الخيّر فمعناه أن يحقق المرء لنفسه، حتى حال بؤسه، سرورًا لا يوصف مصدر اعتزازه بنفسه»[3]

وبالرجوع إلى البعد الأخلاقي الفردي عند روسو، يمكن القول أنه قد ضمّنه في رواية "إميل" التي سببت له الإدانة والاضطهاد بعد أن كانت تحرق في الشوارع وتثير سخرية العامة وحتى مفكري عصره منه.

1مصطفى حسن النشار: أعلام الفلسفة (حياتهم ومذاهبهم)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان(الأردن)، الطبعة الأولى، 2011، ص 217.
2 نقلا عن: مصطفى حسن النشار: أعلام الفلسفة (حياتهم ومذاهبهم)، المرجع السابق، ص 244.
3 اندريه كرسون: الفلاسفة والأخلاق، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبوبكر زكري، دار العرب- دار نور، دمشق(سوريا)، الطبعة الأولى، 2009، ص 194.

"إميل" هو اسم الفتى الذي ينتمي لأسرةٍ ميسورةٍ تؤَمِّن له مدرسا متفرغا ليحصل على تربية خاصة وتعليم فريدٍ، مبني على اللعب والتأمل وتعلم المهارات اليدوية ثم الزراعة والتجارة مُجاراةً لنضجه، ثم يدرس علم الفلك والجغرافيا وفن الملاحة ويتدرج إلى التاريخ والأخلاق والدين، و« كلما تطور أصبح قادرًا على الاصغاء بانتباهٍ أعظم، لما يمليه عليه ضميره – المرشد المعصوم للسلوك الأخلاقي الذي نسمعه عندما تصمت الانفعالات الطاغية، عندئذٍ فقط يصبح إميل رجلًا فاضلًا حقيقةً»[1]

لقد قدم روسو طريقة فريدة في التربية في زمنه، مبتكرًا منهجه الخاص القائم على البراءة الطبيعية والطفولة المبدعة، وأثر بذلك في قادة التربية التقدمية أمثال بستالوتزي وماريا موتسوري، وعلى أية حالٍ، شقّت أعمال روسو طريقها إلى الشهرة فلم يعد غريبًا بين البشر كما كان يُردد في حياته، « بل أصبح أحدهم حينما وجدت أفكاره طريقها إلى قلوب وعقول الشعوب الأوربية. وأصبح روسو –الذي لم يجد الصداقة في حياته- صديقًا لكل الناس، ولكل مثقف مُحبٍّ للحرية وللمجتمع على مرّ العصور»[2]

أخلاق الواجب الكانطي:

يُعدُّ كانط (1724-1804) نقطة تحول أساسية في الفلسفة الحديثة شأنه في ذلك شأن سقراط في الفلسفة اليونانية، ويوصف بأنه واحد من أعظم الفلاسفة في تاريخ الفكر البشري. في فكر كانط، تحتفظ الأخلاق برابطةٍ قويةٍ مع الدين وتُلازم السياسة حتى أنه في بعض الأحيان، ينكر المعرفة ليفسح المجال للإيمان ويُقدم الدين على العلم، وإن كان يتحفظ أحيانًا على الدين ويحتج على أحكامه، بل ألجمه بحدود العقل الخالص وجعل الكائن الأعلى ضامنًا للمعرفة والعلم والأخلاق. أسّسَ مذهبه الأخلاقي على مبدإ الواجب الذي هو عصب الأخلاق كلِّها، حيث يتوسط الضمير والإرادة.فالمبادئ الأخلاقية يجب أن لا تؤسس على التجربة ولا على العاطفة حسبه،

1ديف روبنسون وأوسكار زاريت: أقدم لك روسو، مرجع سبق ذكره، ص 80.
2مصطفى حسن النشار: أعلام الفلسفة (حياتهم ومذاهبهم)، مرجع سبق ذكره، ص 254.

وإنما على العقل الصرف، وقد كان يردد: "شيئان يثيران إعجابي: السماء المرصعة بالنجوم فوق رأسي والإلزام الخلقي داخل نفسي"، فذاتية الإرادة شرطٌ جوهري بعيدًا عن كل لذة أو متعةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ.

لقد أقام كانط جملة مسلماتٍ للعقل العملي تقوم أساسًا على التسليم بوجود الله ووجود النفس وتميزها عن الجسم وخلودها، فالإيمان بهذه الحقائق يقتضيه العقل العملي بما هو ملَكة تدير حياتنا العلمية والأخلاقية.[1]

والواجب في عرف كانط إلزام داخلي ينطوي على المسؤولية الأخلاقية، مطلقٌ غير مشروط بشروطٍ مادام يقوم على افتراض الحرية في التفكير والسلوك، إلزامٌ صادر عن نداء الضمير وحرية الإرادة، يربط الإنسان الفرد بالمعنى الإنساني العام، إنها الضرورة اللّامشروطة للقانون الأخلاقي. ويطالعنا كانط في "أُسس ميتافيزيقا الأخلاق" أنه في وسعنا أن نعبر عن الأمر المطلق كما يلي: «افعل تبعًا للقواعد التي يمكن أن تؤخذ في ذاتها في عين الوقت كقوانين كُلية للطبيعة، على هذا النحو من ثمّ تتشكل صيغة إرادةٍ خيّرةٍ خيرًا مطلقًا»[2]

فالطبيعة العاقلة، أي الطبيعة الإنسانية عامة كمادةٍ للإرادة الخيرة غاية في ذاتها، وموضوعها الذي هو كل كائن عاقل ليس مجرد وسيلة بل شرط جوهري، وبالتالي هو الآخر غاية في ذاته. إن الفعل الإنساني الخيّر يستمد وهجه من القانون الأخلاقي العام ويشكل امتدادًا له، والقاعدة الكانطية هنا: «افعل بمقتضى قاعدة تحتوي في ذاتها في عين الوقت الاستعداد الذي تصلح به صلاحيةً كليةً لكل كائن عاقل، ذلك لأن القول بأنني في كل استخدام للوسائل من أجل غاية يجب علـيّ أن أفرض على فاعدتي هذا الشرط المقيّد، وهو أن تصلح هذه القاعدة كقانون لكل كائن عاقل»[3] [4]

1انظر: مصطفى حسن النشار: أعلام الفلسفة (حياتهم ومذاهبهم)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان(الأردن)، الطبعة الأولى، 2011، ص 271.

2إمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمه: محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية، بيروت(لبنان)،الطبعة الأولى، 1969، ص142.

3 إمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، المرجع السابق، ص 143.

4 من القواعد الأخلاقية الكانطية أيضًا:

- اعمل بحيث تضع نصب عينيك أن تعامل الإنسانية في شخصك كما في شخصٍ آخر غيرك كغايةٍ لا كوسيلةٍ.
- اعمل بحيث تكون إرادتك –باعتبارك كائنًـــا ناطقًا- هي الإرادة المُشرّعة الكلية.

إن مذهب الواجب الخالص لَيضعنا وجهًا لوجه في مرآة أنفسنا ويُدخل ارتيابًا عميقًا في دواخلنا على خلفيات سلوكنا، فلا يجب أن يستند الواجب محل الوصف على الشعور الوجداني أو يخضع لمقتضيات التعاطف أو يستجيب لقواعد المحبة، فذلك يتنافى مع الإرادة الخيّرة ويعزل الفعل عن القيمة الأخلاقية. وإن كان لا بد من مثال في هذا الصدد فلنا أن نحكم على سلوك منقذٍ ألقى بنفسه في البحر، يمتدح الناسُ تضحيته وهو ما يرومه و ربما كان يسعى إلى نوال المكافأة من الضحية أو ذويه، فهذه المخاطرة وإن كانت في ظاهرها صورة مشرقة لفعل الخير ومحبة الآخرين وإنكار الذات وسلوك الفضيلة إلى غير ذلك من التنويعات الوصفية لها، إلا أنها لا تمتُّ بصلة للإرادة الخيرة والواجب الخالص وإنْ تكرر المشهد نفسه في الحالتين. قد يعزّي المنقذ نفسه بأن الموقف كان حاسمًا ولم يتسنَّ له فحص نواياه، فليس من العادل الحكم عليه بهذه الصورة الفجّة والمُشينة[1] ربما لن يفلت من هذا التصنيف حتى المؤمنون الذين يعبدون الله طلبًا لنيل الثواب أو خوفًا من العقاب مقابل الالتزام. بهذا المنظور، تلك أيضًا أخلاق منفعة وليست من التقوى في شيءٍ!

خلاصـــة:

أفلحت الفلسفة الحديثة في كسر الحواجز النفسية والدينية والمعرفية الموروثة عن القرون الوسطى المظلمة بالتوقيت الأوربي، ولما هبّت رياح التغيير على القارة العجوز كانت الكنيسة هي الخاسر الأكبر، إذ اتجه البحث عن بديل دنيوي أمسك فيه الفلاسفة ورجال الفكر زمام الأمور، بدءًا بالرجوع إلى الإنسان نفسه كمدارٍ للاهتمام مع ديكارت الذي ارتجع إلى الأنا المفكرة كشرطٍ للوجود، وكانط الذي طرح الأسئلة الكبرى بحمولاتها النظرية والعملية، والتي طبعت كل النتاج الذي سيعقبه بما فيهم فلاسفة العقد الاجتماعي على اختلاف طروحاتهم، ومنها مسألة القيم التي انتقلت بدورها من حضن التصورات اللاهوتية إلى فضاء المجتمع التعاقدي بِرؤًى جديدةٍ لإنسانٍ جديدٍ لمجتمعٍ جديدٍ لحضارةٍ جديدةٍ.

1 انظر: اندريه كرسون: الفلاسفة والأخلاق، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبوبكر زكري، دار العرب- دار نور، دمشق(سوريا)، الطبعة الأولى، 2009، ص 191.

إشكالية القيم في الفلسفة الثورية (ماركس، نتشه...):

* تمهيـــــــــــــــد
* ماركس: عدو النظام الطبقي
* الأخلاق النتشوية وصناعة السوبرمان
* خلاصـــــــــــة

تمهيـــــــد:

الثورة إرادة وفعل، والتغيير الثوري انتقال من حالة احتقان الأفكار إلى عنف الخطاب الذي يؤول عادةً إلى الفعل الثوري، هي حالة السلب ومحاولة التجاوز للوضع القائم فكرًا وواقعًا، فقد ظلت البشرية تتجدد فتوالت الثورات الاجتماعية والعلمية والدموية. وعلى الصعيد الفلسفي، ألهمت كتابات فولتير وجان جاك روسو ومونتسكيو ودنيس ديدرو صناع التنوير والثورات التي جاءت بفهم جديد للممارسة السياسية والحقوق المدنية، وتوالت الأعمال الثورية في أدبيات هيغل وماركس وفرويد ونتشه وسارتر وفوكو وغيرهم، فأنتجت هزاتٍ متواليةٍ للفكر والمجتمع الأوربيين وامتد تأثيرها إلى بقية أقطار العالم وفي مختلف مناحي الحياة على مرّ القرون الماضية ومازال ذلك الأثر إلى الزمن الراهن.

ماركس: عدو النظام الطبقي

كارل ماركس(1818-1883)، فيلسوف المادية التاريخية ورائد الثورة الاشتراكية ونصير دكتاتورية البروليتاريا والعدو اللدود للدين والنظام الرأسمالي، قال يومًا أن "مهمة الفلسفة ليست فقط تفسير العالم وإنما العمل على تغييره"، وهو ما أمكنه فعلا فقد امتد تأثيره لأكثر من قرن من الزمان وفي كل أصقاع العالم؛ لقد فقدت الماركسية بريقها وخفت ضجيجها لكن لا أحد ينازع في أنها بلغت من الشهرة مالم يبلغه أي مذهب فلسفي على مر التاريخ فأصبحت شبه عقيدة للنخب السياسية والمثقفة. لقد بنى ماركس صرح نظريته في المادية التاريخية على أنقاض المثالية الجدلية الهيغيلية[نسبة إلى هيغل(1770-1831)] فانقلب الواقع المادي للإنسان بنية تحتية أساسية للوجود، أما مظاهر الدين والأخلاق والفلسفة والإديولوجيا والتشريع

والفن فهي مجرد أبنية فوقية قابلة للنقل والاستعاضة، وكان فيورباخ (1808-1891) يقول أن الإنسان ما يأكل وليس ما يعتقد أو يفكر.

ويصدر ماركس عن رأي شهير في الدين هو كونه أفيون الشعوب، ويُذكر دائمًا أن المبادئ الاجتماعية المسيحية سوغت العبودية قديمًا وتتحالف مع مضطهِد البروليتاري في عصره، ويُقابلها بالنظام الإقطاعي بالنظر لتطابقها مع الحسِّ الإقطاعي، فالكاهن والسيد الإقطاعي يمسك أحدهما بيد الآخر فيسيران متعاونيْن.[1] ويتفق ماركس وفرويد (1856-1939) على أن مصدر القيم هو الأنا الدنيا أي :"الليبيدو" في نظر فرويد والبنية التحتية في نظر ماركس[2].

ويتحدد النظام الأخلاقي في مجتمع ما بنظام الطبقات«شأنه في ذلك شأن الدين والقوانين في ذلك المجتمع، إنْ هو إلا جزءٌ من ذلك البناء المتراكب الذي أنشأته ظروف الإنتاج، وهو يعكس دائما مصالح الطبقة السائدة وليس من قيمة إذًا أكثر من أنه تعبير عن أخلاق الطبقات»[3] التي دعى ماركس إلى تقويض أركانها. فالرأسمالي يدفع للطبقة الشغيلة أجرًا لا يكاد يكفي لتغطية ضروريات الحياة، وتدفعه الرغبة في تحصيل المزيد إلى استغلال البروليتاري، ما يجعله يراكم الثروة على حساب ذلك العامل الكادح لذلك يستمد الإنسان مصدر سعادته من تحطيم تلك المعوقات الطبيعية والاقتصادية التي تحد طموحه وتكبل حياته.

الأخلاق النتشوية وصناعة السوبرمان:

نتشه(1844-1900)، فيلسوف العدمية الثائر وداعية إرادة القوة في استبناء الإنسان الأعلى، تكلم على لسان زرادشت كاشفًا عن قلب تراتب القيم والأخلاق والفن والدين والميتافيزيقا في أطرها الإشكالية ومآلاتها التحليلية والنقدية. وفي

1 عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق(سوريا)، الطبعة الأولى، 1986، ص 637.

2 المرجع السابق، ص 638.

3 إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة (الجزء الثاني)، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية (مصر)، الطبعة الأولى، 2015، ص 222.

إطار بناء صرح مشروعه البديل في نقده للبنى التحتية في الحضارة الغربية، كان عليه ابتكار أدواتٍ جديدةٍ مكنته من الحفر والتفكيك لإعادة البناء، وكان من النتائج الخصبة لذلك وظّف المنهج الجينيالوجي للاستفادة من إمكانيات النقد الجذري لكل المخزون المفاهيمي والمنجز الغربي للأنوار والحداثة والعقلانية ورواسب الدين والسياسة والأخلاق والميتافيزيقا.

أعلن نتشه موت الإله وأفول الأصنام، وانتقد امتثال الإنسان الحديث لانهزامية بغيضة حمّلته أعباء الانحطاط والعبودية التي غلّته بقيود لم يتحرر منها بعدُ، والانحطاط « تعبيرٌ عن مرض لأنه نتاج قيم مريضةٍ تحمل في ذاتها بذور فنائها، ولهذا فإن مظاهره ترجع إلى "إرادة القوة" وتعمل داخل منظومةٍ كُلية من الأحكام القيمية المريضة»[1]. إن لحظة موت الإله بشارة مطلقة لتبدل القيم حين تتلاشى الأخلاق وتفقد العقائد الميتافيزيقية طابعها الإلزامي، ويحل الأمل محلّ الإيمان فيحارب الإنسان التنين الذي تجاوز الألف عامٍ، وهو بقدر ما يُلاحق تلك القيم المثالية البالية ويقضي عليها تباعًا، يتماهى مع ذاته ويخلق حريته ويبني مصيره بعيدًا عن تلك القيم البائدة التي تنتصر للضعفاء على الأقوياء.

فمرجع القيم الأخلاقية ثنائي في تصنيف نتشه: أخلاق السادة وأخلاق العبيد، ولأن النبلاء أسبق زمنيًا فلهم الأحقية في وضع القيم. وتعتمد القراءة النتشوية معيار المفاضلة في بعده الحضاري، حيث ينتصر لمنطق الإخضاع الذي تعتمده طائفة الأرستقراطية الأكثر نبلا وكمالا، وهو ما أحرزته فعلا الحضارات اليونانية والرومانية والجِرمانية التي كانت شعوبها مُبدعةً للقيم مانحةً لها في ظل التراتبية التي يفرضها التباين الفطري والواقعي بين السادة والعبيد « وبخصوص العلاقة بين النبلاء والعبيد فإنها تتخذ شكل الازدراء والسخرية والعبودية، فالأرستقراطي من حيث المبدإ يزدري هذه المنطقة التي لا يعرفها، بل إنه يتعالى على معرفتها لأنها منطقة الطبقة الدنيا أو الإنسان العادي الذي يفتقر إلى ما يتصف به هو من نُبل وقوة

1 جمال مفرج: نتشه، الفيلسوف الثائر، افريقيا الشرق، الدار البيضاء(المغرب)، الطبعة الأولى، 2010، ص37.

زاخرةٍ وصحةٍ»[1] إن تاريخ البشر على مرّ العصور هو تاريخ صراعٍ طويل ومرير بين السادة والعبيد.

لقد أمكن لنتشه هدم التصور الشائع للقيم الأخلاقية واستبداله بمثله الأعلى قائمًا على إرادة القوة، وأوجب قلب القيم توكيدًا على الشجاعة والقسوة والمغامرة واستبعادًا للتعاطف والرِّقة والمسالَمة من القيم الهزيلة التي تعتلي أخلاق العبيد ضاربةً الحجب عن حقدهم ورغبتهم البائسة في الانتقام من سادتهم، إنها « أخلاق الدَّهماء وهم الكثرة الغالبة، أخلاق الصبر و الحِلم والطاعة والتواضع وغيرها مما دعت إليه المسيحية من وجوه الضعف والانحطاط»[2]ومثال ذلك ما عاناه اليهود أجيالا متعاقبةً من الظلم فكانت تلك القيم ملاذًا لهم لاستعطاف السادة الرومان، وكذلك حال الضعفاء الذين يلجأون إلى المحاباة سلاحًا حتى يتمكنوا يومًا، ذلك ما أيدته رسالات الأنبياء ودعمه نظام الطبيعة، الأولى بتمجيد الألم والضعف والفقر والثاني بإنزال الحثالة منازل الصفوة من السادة ورفع الأراذل إلى مصاف الممتازين من النبلاء.

ويعزو نتشه إلى ذلك سبب الانحطاط في الأخلاق، فجاء مبشرًا بالإنسان الأعلى في سياق ثورته الكوبرنيكية في مجال الأخلاق مؤسسًا لنزعته العدمية، حيث تفقد كل القوى المسيطرة على الإنسان سلطانها من أشكال الزيف وأنصاف الحقيقة، فالتغير هو الحقيقة الوحيدة التي ترسخ في عالمه حال انكشاف بطلان القيم العليا التي اتفق وآمن بها وشعوره الرهيب والخانق بالحيرة والفراغ. بيد أنّ نتشه لم يكن مفكر سلبٍ وعدمٍ ولا يقف عند مساءلة قيم الحداثة وروافدها، بل تجاوزها ببديل العهد ما بعد الحداثي وما بعد العدمي، فالعدمية التي عناها «تمثل تبديدًا لكل الأوهام التي قدستها الإنسانية وأقامت لها المعابد والهياكل، وقوام مهمة نتشه من خلالها هو القضاء بصورة فعالةٍ، بمطرقته، على جميع الحقائق المنيعة، وتوجيه الضربة

1 عبد الرزاق بلعقروز: نتشه ومهمة الفلسفة، الدار العربية للعلوم، (لبنان)، منشورات الاختلاف (الجزائـر)، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الطبعة الأولى، 2010، ص ص 189-190.

2 الشيخ كامل محمد عويضه: نتشه، نبي فلسفة القوة، دارالكتب العلمية، بيروت(لبنان)، الطبعة الأولى، 1993، ص90.

القاضية للقيم المُحتضرة»[1]إنها بالنسبة له أشبه بالمرحلة الانتقالية للوصول إلى الضفة الأخرى بعد أن سادت طويلًا قيم المسيحية والعقلانية وأخلاق الواجب والديمقراطية والاشتراكية، لذلك استعار صورة "الإنسان الأرقى" الذي سيحمل على عاتقه إرادة القوة بما هي أكثر أهمية وفعالية من إرادة الحياة « فهل يتحقق الحلم النتشوي بالانتقال من عدمية سالبة إلى عدمية فاعلة ومُكتملة في عالمٍ معاصر يشهد تحولاتٍ عميقةٍ ومتسارعةٍ»[2].

خلاصـــــة:

اشتغل كل من ماركس ونتشه على إعادة تأسيس الثقافة الأوربية وفق إطارٍ جديد للفهم والتأويل، وشكلت النزعة الثورية خيطًا ناظمًا لنتاجهما، حيث يجمعهما الانقلاب على معطيات الفكر والواقع وخاصة التقليد الديني وتشكيل القيم الذي يُلازمه، فقد أشعلا جذوة الثورة ضد القوى الارتكاسية رافضين أخلاق العبيد والتقسيم الطبقي، بينما ينتصران أحدهما للإنسان الأعلى والآخر للبروليتاريا، آملَيْن تجاوز العدمية إلى مابعدها والمجتمع الرأسمالي إلى الدولة الشيوعية وهو ما انتهت إليه الحضارة الغربية ولو من الباب الضيق، على تفاوتٍ في نسبة الإنجاز الماركسي والنتشوي بعد زمنٍ طويل.

1 جمال مفرج: نتشه، الفيلسوف الثائر، افريقيا الشرق، الدار البيضاء(المغرب)، الطبعة الأولى، 2010، ص 73.

2 نبيل عبد اللطيف: فلسفة القيم(نماذج نتشوية)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت(لبنان)،الطبعة الأولى، 2010، ص166.

القيمة في الفكر البراغماتي (ديوي، بيرس، جيمس):

*** تمهيد**

*** الحقيقة عند جون ديوي**

*** ويليام جيمس: الإيمان لتحقيق المنفعة**

*** بيرس: الأخلاق والسعادة التوافقية**

*** خلاصة**

تمهيد:

من الشائع في الأدبيات الفلسفية المتداولة أنه عند ذكر البراجماتية تقفز إلى الأذهان عبارة "الفكرة الصادقة هي الفكرة الناجحة في معترك الحياة". وتختص الفلسفة الأمريكية شأنها شأن الواقع بالفكر الذرائعي الذي يُعد ويليام جيمس وجون ديوي وتشارلز بيرس أهم ممثليه. ومع أن مذهب المنفعة يمتد إلى الجذور اليونانية، إلا أن أدبياته المبكرة انتظمت في الفلسفة الإنجليزية وتحديدًا في كتابات جرمي بنتام "المدخل في مبادئ الأخلاق والتشريع" عام 1789، وجون استيوارت ميل "مذهب المنفعة" عام 1863. ويمكن استيضاح الفكر الذرائعي من العبارة الشهيرة لبرتراند راسل أن: «الخير هو اللذة والشر هو الألم، ومن هنا فإن أفضل حالةٍ هي التي يبلغ فيها تفوق اللذة على الألم أقصى مداه»[1]

[1] نقلًا عن: فايزة أنور أحمد شكري: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (مصر)، د س ن، ص322.

الحقيقة عند جون ديوي:

إن الحقيقة في مفهوم جون ديوي « اختراع شيءٍ جديد لا اكتشاف شيءٍ موجود، فمقياسها ماثلٌ في مدى نفعها في دنيا العمل وليس للحياة من هدفٍ إلا العمل المُنتج »[1] فيكون البحث في الماهيات والطبائع أمرًا غير مُجدٍ إلا بقدر ما يحقق من عوائد على الإنسان الذي يُصيره شغفه بالمنفعة عَكوفًا على وضع الخطط ورسم الأهداف للتحكم في مُجريات الواقع وتسخيره لصالحه، وتبعًا لذلك يكون الحُكم الصادق هو الذي تُجليه التجربة وتُقره المصلحة، فالمنفعة مقياس الصدق والزيف والخير والشر والحق والباطل. يقول ويليام جيمس في كتابه: "إرادة الاعتقاد" « لقد أقرّ الفلاسفة معايير شتى وافترضوا أُسسا مختلفة للنظام الأخلاقي، وذلك كأن يكون الشيء وسطًا بين متطرفَين، أو أن تعترف به قوة بديهية خاصة أو أن يجعل الفاعل سعيدًا وقت الفعل، أو أن يجعل الآخرين بالإضافة إلى الفعل سعداء في النهاية، أو أن يزيد من كمال الفاعل وشرفه، أو ألّا يُسبب أذى لأحد، أو أن تكون نتيجته عقلية، أو ناشئًا من قانون عام، أو أن يكون وفق إرادة الله، أو أن يساعد على بقاء النوع الإنساني على ظهر البسيطة...إنها معايير شتى اعترف بكل واحدٍ منها جمعٌ من الفلاسفة، فالمسألة المعيارية مسألة عملية»[2]

ويليام جيمس: الإيمان لتحقيق المنفعة

يتوقع المتطلع لمعرفة فلسفة الدين عند ويليام جيمس ألا يكون مؤمنًا وهو كذلك، إلا أنه لا يرى مانعًا في الاعتقاد الذي لا يَخرج عن نطاق المنفعة العملية، حيث يُنتظر من الدين أن تكون له ثمارٌ في الأعيان وليس مجرد أفكارٍ في الأذهان. ولا يتعارض ذلك مع القول أن "الإنسان ما يعتقد" من حيث أنه يؤمن بالخير أو الشر أو الحرية فيلحقه نصيبٌ مما اعتقد، على أنه لا يفهم ذلك في سياق تدبير قوة خارجية، وإنما من موضع الثقة الكاملة في الإنسان « إن الاعتقاد الديني عند جيمس يجعل الإنسان أكثر تفاؤلًا واستبشارًا، ويقضي على القلق الذي سيختفي، لاسيما بالنسبة للمتدين الذي يعتقد في وجود إله، لأن العالم حينئذٍ يكون في أيدي أمينةٍ،

[1] عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق(سوريا)، الطبعة الأولى، 1986، ص 640.
[2] المرجع السابق، ص ص 640- 641.

وبالتالي ينعكس هذا على المعتقد بالثقة والأمان في المستقبل»[1]، إن التدين في عرفه أمر شخصي، ويمكن أن نحضى بآلهةٍ بقدر رؤوس المؤمنين في مقابل عدد لا محدودٍ من البشر دون أربابٍ، كلٌّ حسبما تقتضيه مصلحته ومنافعه.

بيرس: الأخلاق والسعادة التوافقية

لقد أكد بيرس(1876-) ضرورة التربية الأخلاقية في طلب ما يسميه السعادة التوافقية، "فالقيم بمعناها الشامل سوف تكون الديمقراطية والتنظيم الأخلاقي في العالم، وفيها ينتقل مفهوم الخير الأخلاقي من المستوى الاجتماعي إلى المستوى الدولي، وتعادل الحضارة آفاق القيمة"[2]

وكان بيرس قد صاغ جملة الركائز التي قامت عليها البراغماتية نذكر منها: [3]

- الاتجاه نحو النزعة الفردية ورفع لواء الحرية.
- التعددية في مجال الإيمان بالأفكار.
- معاداة الأفكار والنظريات الفلسفية الاعتقادية.
- الجنوح نحو فلسفة القوة وفلسفة السوبرمان وهي الدعوة التي نادى بها نتشه.

وبالإجمال فإن مذهب المنفعة « مذهب واقعي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتجربة وينزع إلى الإصلاح ويهدف إلى الارتفاع بمستوى الحياة الإنسانية ويحث على العمل من أجل التقدم الإنساني»[4]

خلاصة:

يصدر الفكر البراجماتي عن توجهاتٍ فكرية تشيد بالعقلانية الموجهة والنشاط الغائي، لذلك كان درس القيم في بؤرة اهتمام الفلسفة البراجماتية، وقد يكون متوقعًا

[1] محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني(وليم جيمس نموذجًا)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية(مصر)، الطبعة الأولى، 2005، ص 187.

[2] أحمد عبد الحليم عطية: القيم الواقعية الجديدة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت(لبنان)، ص319.

[3] نقلًا عن: تشارلز موريس: رواد الفلسفة البراجماتية، ترجمة وتعليق: إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية(مصر)، الطبعة الأولى، 2011، ص 09.

[4] فايزة أنور أحمد شكري: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، مرجع سبق ذكره، ص 223.

أن تكون الأخلاق هي العلم الذي يتناول نظرية السلوك المفضي إلى جلب المنفعة والدفع بالضرر. إنّ "جودة الحياة" مطلب أساسي للنفعية التي تشتق مثالها الأسمى من العمل على تحسين أحوال الناس وتلبية متطلباتهم وإشباع حاجاتهم واستكمال رفاهيتهم، وبكلمةٍ تحقيق سعادتهم الحقة.

فلسفة القيم وأزمة المجتمعات المعاصرة:

(تحديات العلم، الحروب، التقنية)

*** تمهيـــــد :**

*** فلسفة القيم في ظل المجتمع المعاصر :**

*** فلسفة القيم وتحديات العلم والتقنية :**

*** خلاصة :**

تمهيـد:

تنبني فلسفة القيم على جملة من المقاربات الفلسفية المفتوحة التي تحاول اقتحام تخوم حياة الكائن البشري من حدودها المرئية إلى زواياها المظلمة وجدرانها الخلفية الخفية، لذلك فهي تختصر قصة الإنسان من المبتدإ إلى المنتهى، في هذا العالم الذي لا يخلو من خير وشر ومن حسن وقبح، ومن معاني جميلة وخصال رذيلة، يعلو فيه صوت العقل ويستأثر بالحكمة حينا، ويُسْلم نفسه إلى الجنون وينخرط في الشذوذ واللّامعنى أحيانا.

فلسفة القيم في ظل المجتمع المعاصر:

إن نظرة فاحصة للوجود الإنساني في ماضيه وحاضره ومستقبله تولد في النفس هواجس وأسئلة كثيرة عن البداية والنهاية والكون والفساد، لكن أيضا عن الصورة الفضلى التي يمكن أن نُكونها ونَكون عليها، والقيم المثلى التي يجب أن نتمثلها ونـمثتلها في حياتنا. لأجل ذلك تداعت الأمم وتعاقبت الحضارات وتوالت فلسفات تنشد التغيير أو تنزع إلى التبرير. ولأن فلسفة – القيمة في قلب معادلة الوجود الإنساني، فقد كان لزاما عليها أن تستجدي نماذج معينة في الفكر والسلوك، أقرب إلى منطق العقل وطبيعة الفطرة الإنسانية. ذلك هو منطلق فلسفة القيم، لكن الفلاسفة يختلفون أشد الاختلاف فيما بينهم في تقرير تراتبية القيم وتصنيفها وحضورها في

حياتنا. وإن اجتهدت كل فلسفة في أن تضع بين أيدينا أجوبة غنية بالمعنى، وفقا لرؤية خطية أحادية يتصف بها كل مذهب فكري أو عقيدة دينية أو حتى موقف من الحياة، لأن الأحكام القيمية تعد انعكاسا لأذواق الناس وآرائهم ونظرتهم الخاصة إلى الحياة، وتعبيرا عن أحاسيسهم وحساسياتهم نحو موضوعات القيمة، فالإنسان اليوم يتساءل أكثر من ذي قبل لعله يجد جوابا يريحه مما يشغل باله ويهم قلبه ويتساءل لأنه يتطلع ويغامر ولكنه لا يعرف لماذا؟ ويرجو ويأهل ولكنه لا يتبين ماذا؟ ويخشى ويخاف ولكنه لا يدري مماذا؟ فهو في مفترق الطرق، وقد تكون تساؤلاته هذه من الأسباب التي ساعدت فلسفة القيم على الرواج في الفكر المعاصر.[1]

إن القيمة الحقيقية للإنسان، تتجلى في وعيه بكينونته العاقلة، بعلة وجوده ورسالته في هذه الحياة، هي في عرفنا- نحن المسلمين- عبادة الله جل وعلا "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"(الذاريات). فكان لابد من إعمار الأرض وتسليط نور العقل على الطبيعة لتسخيرها في خدمة البشر. وهنا يقع الوعي القيمي في صميم الوجود الإنساني، وعي الشخصية الإنسانية لذاتها وبشرط وجودها وبتطلعها إلى ما ينبغي أن تكون، إنه وعي الفكر المريد الحر المبدع الملتزم المسؤول، إنه فاعلية تنوس بين منزلة دنيا هي منزلة الغريزة أو العفوية الساذجة، ومنزلة عليا هي منزلة السمو والقداسة... فيحقق الإنسان باختياره ما يتمنى أن يكون إنسانيا في حدود ما يبتغي الإنسان وما يستطيع[2]. فقد حاول الإنسان دوما ترويض النظام الطبيعي وإحالته إلى نظام أكسيولوجي.

...وإذا كانت آلية العادة في حياة الإنسان تجنح إلى إفراغها من معناها، فإن القيم الماثلة كبداهات تحف وجوده، تعطي هذه الحياة قيمة ومعنى، وتضفي توازنا بين السلوك والواقع، بين الأنا و العالم، يقول جون بول رزقبر "إني أفهم أن العدالة لا توجد إلا حيث يوجد فاعلون منصفون، وأن الحقيقة لا توجد إلا حيثما يوجد فاعلون صادقون ... وهكذا نجد القيمة تنبثق انبثاق نداء للمسؤولية"[3]إننا نستشعر ضرورة

[1] الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر الفلسفي المعاصر، ص15.

[2] عادل العوا:العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق (سوريا)، الطبعة الأولى1986، ص701.

[3] جون بول رزقبر :فلسفة القيم، تعريب: د/عادل العوا ،عويدات للنشر والطباعة، بيروت(لبنان)، الطبعة الأولى،2001 ص38.

حضور القيم في حياتنا بصورة أشبه ما تكون بفوانيس فوق رؤوسنا تضيء لنا حياتنا.

ولنتذكر أنه إذا كان مرض فقدان المناعة المكتسبة قاتل سريع للإنسان فإن مرض فقدان القيمة الأصيلة, لهو مدمر فتاك لجوهر وجود الإنسان وغايته في هذه الحياة. وكما أن غاية الانخراط في فن كمال الأجسام قوة الجسد فإن فضل مباشرة كمال الأخلاق هو تسامي الروح.

ولأننا نعتقد أن طرح الفكرة باستعجال في زحمة الأحداث والأفكار في جملة محاضرات يراد لها أن تكون فلسفية، قد لا يبتعد بنا كثيرا عن الفوارق والمفارقات التي نعيشها من مباشرة سلطان الواقع لفعله علينا بخلاف الادعاء الذي يحاول عبثا رسم حدود قيمية للإنسان بقدر ما يسهم فراغ الأذهان والمنطق التسلطي لأدوات المكايدة والتهجين الثقافي والتدجين الفكري في تصنيم القيم الزائفة التي باتت تحف وجودنا، فلم يعد الإنسان موجودا قلقا، متهورا، متبلدا فحسب بل لقد أصبح أيضا كائنا سطحيا لا شيء يلهمه ولا شيء يمسه ولا شيء يحرك كوامن وجوده الباطني.[1]

فلسفة القيم وتحديات العلم والتقنية:

إن مشكلة الإنسان المعاصر وخيباته الحاضرة برغم مكاسب العلم، هي تداخل الأولويات وفساد منظومات الأخلاق وهو ما سيؤدي إلى مزيد من الإخفاقات في حياتنا و يعزز اغترابنا عن أنفسنا، حيث يعج المكان بالضجيج و الدخان , وتتمدد كائنات غريبة في فراغنا القيمي لصالح مشروع تغريبي تتأثر به مجتمعاتنا ويستأثر بنا، بقدر ما تتهاوى قيمنا الحارسة وتسقط جدراننا الثقافية الحامية..يحدث ذلك رغم كثافة حيز المقدس كمفهوم نظري، في مقابل خواء روحي حقيقي يسلمنا إلى الأزمة الحاصلة في القيم .

إن القيم الحقيقية هي تلك التي تكون حية مؤثرة فينا و فاعلة في وجودنا عند امتثالنا لها، فلا تبقى مجرد دعوى خطابية أو دعوة مناسباتية .

وبينما يتكلم البعض عن ضياع بوصلتنا الأخلاقية واعتزاز السلوك والكارثة الخُلقية في زمن العولمة، يرى كويشيرو ماتسورا، الأمين العام السابق لمنظمة

[1] زكريا إبراهيم : المشكلة الخلقية ، ص12.

اليونيسكو، أنه لا توجد أزمة قيم بقدر ما توجد أزمة في تحديد معنى القيم، "إن التفكير الأخلاقي هي مهمة بغاية الحساسية لأنه يستوجب حسا استشرافيا، إذ لا يتوجب عليه أن يسعى إلى توصيف القيم بقدر ما عليه أن يفهم كيف تتحول هذه القيم وكيف تُحوّلنا معها"[1]

يتطلب بناء أخلاقيات القرن الحادي والعشرين مباشرة تأسيس رؤيا استشرافية إيجابية للقيم. وهذا لا يحيل إلى الشروع في تفكيك القيم القديمة ولا استنبات قيم جديدة، وإنما الانخراط في التفتيش عن البدائل المناسبة لروح العصر والتحولات المتسارعة فيه.

لقد دعى طه عبد الرحمان إلى تعددية قيمية جديدة تؤمن بمبدإ "تصادف القيم" حيث لا تسيب ولا تسلط ولا تطرف، وهي سمات القيم المتصادمة، فلا يتأتى تحصيل تلك التعددية القيمية إلا بإزالة أسباب التصادم وهي الآفات الثلاث: آفة تسيب العقل وآفة تسلط السياسة وآفة تطرف الثقافة، ويمكن أن ندفع آية التسيب بأن نبث في العقل قيمة الإيمان، وأن ندفع آفة التسلط بأن نبث في السياسة قيمة الخير، وأن ندفع آفة التطرف بأن نبث في الثقافة قيمة الفطرة.[2]

[1] جيروم بيندي وآخرون: القيم، إلى أين؟ ترجمة: زهيدة درويش جبور وجان جبور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون(قرطاج)، منشورات اليونيسكو، 2005، ص13.

[2] طه عبد الرحمان: تعددية القيم، مامداها؟ وما حدودها؟ سلسلة الدروس الافتتاحية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القاضي عياض، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش(المغرب)، الطبعة الأولى، 2001، ص52.

خلاصة:

القيم الإنسانية مساحات مشتركة بين جميع البشر في رؤية جماليةٍ منطقيةٍ أخلاقيةٍ لصياغة حياةٍ أفضل للبشرية المتطلعة للسعادة والخلاص. ومنظومات نقول أخيرا، إن كلامنا هذا تأملات وخواطر في فلسفة القيم أكثر من كونه تجميعا لأفكار أو استنطاقا لفلسفات بعينها في مسألة القيم، ولكننا راهنَا منذ البدء ولا زلنا نراهن على أهمية بناء وعي قيمي لإنسان جديد لمجتمع جديد لحضارة جديدة.

قائمـــــة المصادر والمراجع:

https://ar.wikipedia.org/

- إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة (الجزء الثاني)، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية (مصر)، الطبعة الأولى، 2015.

- الأخضري: السلم المرونق في علم المنطق، د د ن، د س ن.

- إمام عبد الفتاح إمام: محاضرات في المنطق(الجزء الأول)، دار الثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة(مصر), بدون تاريخ.

- إمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمه: محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية، بيروت(لبنان)،الطبعة الأولى، 1969.

- أميرة حلمي مطر: عن القيم والعقل في الفلسفة والحضارة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة(مصر)، الطبعة الأولى، 2006.

- أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال, دار المعارف، القاهرة (ج م ع)، بدون تاريخ.

- اندريه كرسون: الفلاسفة والأخلاق، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبوبكر زكري، دار العرب- دار نور، دمشق(سوريا)، الطبعة الأولى، 2009.

- إيمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية، بيروت(لبنان)، د س ن.

- بندتو كروتشه: المجمل في فلسفة الفن, ترجمة وتقديم : سامي الدروبي, المركز الثقافي العربي, الطبعة الأولى 2009.

- تشارلز موريس: رواد الفلسفة البراجماتية، ترجمة وتعليق: إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية(مصر)، الطبعة الأولى، 2011.

- جمال مفرج: نتشه، الفيلسوف الثائر، افريقيا الشرق، الدار البيضاء(المغرب)، الطبعة الأولى، 2010.

- جون بول رزقبر: فلسفة القيم، تعريب: عادل العـــوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت(لبنان)، الطبعة الأولى، 2001.

- جيروم بيندي وآخرون: القيم، إلى أين؟ ترجمة: زهيدة درويش جبور وجان جبور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون(قرطاج)، منشورات اليونيسكو، 2005.

-ديف روبنسون وأوسكار زاريت: أقدم لك روسو، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، القاهرة (مصر)، الطبعة الأولى، 2005.

- الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر الفلسفي المعاصر, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع(الجزائر) 1980.

- زكريا إبراهيم: سلسلة مشكلات فلسفية (المشكلة الخلقية), مكتبة مصر, دار مصر للطباعة, بدون طبعة, بدون تاريخ.

- زكريا إبراهيم: سلسلة مشكلات فلسفية، (مشكلة الفن), مكتبة مصر, دار مصر للطباعة, بدون طبعة , بدون تاريخ.

-سيد صديق عبد الفتاح: الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء, دار الهدى, القاهرة(مصر), الطبعة الأولى1994.

- السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (مصر)، 2000.

- الشيخ كامل محمد عويضه: نتشه، نبي فلسفة القوة، دارالكتب العلمية، بيروت(لبنان)، الطبعة الأولى، 1993.

- صلاح عثمان: المنطق متعدد القيم, منشأة المعارف, الإسكندرية، (مصر), د س ن.

-طه عبد الرحمان: تعددية القيم، مامداها؟ وما حدودها؟ سلسلة الدروس الافتتاحية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القاضي عياض، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش(المغرب)، الطبعة الأولى، 2001.

- طه عبد الرحمان: حوارات من أجل المستقبل, الشبكة العربية للأبحاث والنشر, بيروت(لبنان), الطبعة الأولى2011.

- عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق(سوريا)، الطبعة الأولى، 1986.

- عادل العوا: القيمة الأخلاقية, الشركة العربية للصحافة والطباعة والنشر, الطبعة الأولى, دمشق(سوريا)، بدون طبعة، 1965.

- عبد الرزاق بلعقروز: نتشه ومهمة الفلسفة، الدار العربية للعلوم، (لبنان)، منشورات الاختلاف (الجزائـر)، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الطبعة الأولى، 2010.
- عبد القادر بليمان: دراسات فلسفية في الأخلاق والسياسة (نحو رؤية تحليلية للحالة العربية)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012،
- عبد الله عبد الدايم: نحو فلسفة تربوية عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية 2000
- علي سامي النشار: المنطق الصوري من أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، د ت ن، د ب ن
- فايزة أنور أحمد شكري: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (مصر)، د س ن.
- قاموس لالاند الفلسفي
- محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت(لبنان)، الطبعة الأولى، 2008.
- محمد ثابت الفندي: أصول المنطق الرياضي, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت(لبنان), الطبعة الأولى 1972.
- محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني(وليم جيمس نموذجًا)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية(مصر)، الطبعة الأولى، 2005.
- محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، د ت ن، د ب ن
- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطابعة والنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، 2007.
- مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (الجزء الثاني)، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، الطبعة الأولى، 2007.
-مصطفى حسن النشار: أعلام الفلسفة (حياتهم ومذاهبهم)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان(الأردن)، الطبعة الأولى، 2011.
-مصطفى غالب: في سبيل موسوعة فلسفية (أرسطو)، دار ومكتبة الهلال، بيروت(لبنان)، 1988.